المنتدى التونسي للحقوق الإقتصادية والإجتماعية

المهاجرون غير النظاميين وتجربة الترحيل القسري من إيطاليا

دراسة سوسيو أنثربولوجية

FTDES
المنتدى التونسي للحقوق الإقتصادية والإجتماعية

المنتدى التونسي للحقوق الإقتصادية والإجتماعية

المهاجرون غير النظاميين وتجربة الترحيل القسري من إيطاليا

دراسة سوسيو أنثربولوجية

إعداد: فؤاد غربالي

أنجز هذا العمل في إطار مشروع قوارب الشعوب

منسق المشروع: فالنتان بونفوا

ساهم في الإنجاز

رابح بن عثمان أمل المكي

إسكندر بن عمر

ياسمين النوري هالة قنقان

إن محتوى هذه المطبوعة هو مسؤلية المنتدى التونسي للحقوق الإقتصادية و الاجتماعية ولا يعتبر بالضرورة عن موقف مؤسسة روزا لكسمبورغ

boats 4 people

FTDES
المنتدى التونسي للحقوق الإقتصادية والإجتماعية

ROSA LUXEMBURG STIFTUNG
مكتب شمال إفريقيا
North Africa Office

الفهرس

ملخص تنفيذي

إشكالية البحث:

منهجية البحث

1. التمشي الكيفي
2. الميدان وتقنيات البحث

- المقابلة شبه الموجهة
- الميدان

المحور الأول: من هم المرحلون؟ الملامح الاجتماعية و المسارات الحياتية للمبحوثين ص 7

1. المسار الدراسي : إنقطاع مبكر عن الدراسة
2. المدرسة لم تعد تصلح للحياة !
3. الهشاشة المهنية أو إقتصاد الاستمرار في العيش
4. علاقة مفارقية مع الحومة
5. مسارات فردية متقطعة

المحور الثاني : طقوس العبور و قصص الطريق نحو لا مبادوزا ص 19

قبل الرحيل

1. لماذا قرروا الحرقة و كيف فكروا فيها؟
2. بدأنا نبحث عن خيط للحرقة : التقوين و قصص انتظار الإبحار.

المحورالثالث : الإبحارو اللايقين و تجربة الوصول ص 34

الإنطلاق و لحظة المغادرة

1. مشاعر متناقضة
2. الوصول:

- مراكز الإيواء، المغادرة، و العمل في الريسك
- مراكز الإيواء: سياسة المراقبة و العقاب

المحور الرابع: الترحيل و ما بعد الترحيل - من " الشقف"، إلى الطائرة ص 50

I. الترحيل

1. بيروقراطية الترحيل

2. و نحن في الطائرة إلى تونس : كل أحاسيس الخيبة و الألم.

3. الاستقبال الأمني في تونس : عودة إلى الحدود

4. أحاسيس الفشل

5. تقييم تجربة الترحيل

الخلاصة والتوصيات ص 62

ملخص تنفيذي

يندرج هذا البحث ضمن الخيارات البحثية للمنتدى التونسي للحقوق الإقتصادية والإجتماعية في مناصرة القضايا المتعلقة بالهجرة عموما والهجرة غير النظامية بشكل خاص، والتي صارت تأخذ في السنوات الأخيرة منحا تصاعديا بفعل تزايد عدد الشبان المنخرطين فيها، وتتعدد الأسباب التي تدفع بالعديد من الشبان التونسيين لتبني خيار الهجرة غير النظامية لتحقيق أحلامهم، حيث تتداخل الأسباب الإقتصادية مع الأسباب الذاتية والنفسية. لكن بالمقابل، تظهر سياسات المتوخاة سواء على المستوى الوطني أو على مستوى الإتحاد الأروبي بوصفها سياسات عقابية ذات طبيعة أمنية تعمل على وضع مزيد من الحدود أمام الهجرة غير النظامية، على نحو أصبحت الهجرة غير النظامية تبدو وكأنها سلسلة من الحدود المتتابعة والنجاح في تجاوز سلسلة الحدود المادية والرمزيةولعل الترحيل هو أحد أهم الآليات العقابية التي يتوخاها الإتحاد الأوروبي منذ سنوات في إطار التضييق على حركة الهجرة من جنوب المتوسط إلى أوروبا. في هذا الإطار يندرج هذا البحث الكيفي حول المرحلين التي تم إنجازه في كل من صفاقس وقليبيةوالرديفوتونس العاصمة حيث تم إجراء ثلاثين مقابلة شبه موجهة مع شبان تتراوح أعمارهم بين 20 و 30 سنة وذلك من أجل فهم مسار الهجرة غير النظامية كتجربة إجتماعية وذاتية في الآن ذاته من حيث الأسباب المتعلقة بها وذلك من وجهة نظر الفاعلين أنفسهم، والذين تركنا لهم إعطاء وجهة نظرهم، وهي وجهة نظر غير مسموعة في الفضاء العمومي التونسي سواءا السياسي أو الإعلامي. لكن ما يعنينا في هذا البحث هو تجربة الترحيل القسري من الأراضي الإيطالية، وذلك مثلما يرويها ويتمثلها الشبان المرحلون أنفسهم وهي تجربة تبدو قاسية حسب رؤيتهم الخاصة لأنها تعبر عن فشل مشروعهم الهجروي وأحلامهم الفردية ولكن بالمقابل تظهر تجربة الترحيل بمثابة القصة التي يرويها المرحلون والتي تعطي معنى لوجودهم الشخصي لأنهم في الغالب كانوا بلا قصص. من ناحية أخرى تبدو تجربة الترحيل لها استتباعات نفسية، وإقتصادية على المرحلين وبشكل خاص على الشبان الذين قضوا مدة طويلة في أوروبا حيث يشعرون أنه قد وقع انتزاعهم قسريا من بيئة تعودوا عليها لهذا ينكفئون على أنفسهم ويعيشون ضغط نفسي وتوتردائم. أما من الناحية الإقتصادية يعيش جل المرحلين تحت وطأة ظروف إقتصادية قاسية، حيث لا يقدر جلهم على تحقيق الإندماج الإقتصادي وهو ما يجعلهم يفكرون في معاودة الهجرة غير النظامية وهو ما يعني أن الترحيل بوصفه سياسة أمنية بحتة يتحول بشكل أو بآخر من آلية للتقليص من عدد المهاجرين إلى عامل دافع لها وهو ما يمكن إدراجه فيما يسمى بالآثار اللامتوقعة لعملية الترحيل وهذا ما يفترض، من هذا الناحية، إعادة رسم سياسة جديدة للهجرة بين تونس والإتحاد الأوروبي.

Executive summary

This research is part of the research topics of the Tunisian Forum for Economic and Social rights regarding immigration in general and specifically illegal immigration, a phenomenon in tremendous growth among youth. Many reasons push Tunisian Youth to immigrate illegally to pursue happiness. Economic reasons coupled with personal and psychological reasons drive youth to opt for such decisions. However, the punishment approach adopted by the national authorities and the authorities at the European Union seeks to repress such phenomenons. Such This approach has made illegal immigration a series of material

obstacles and symbolic impediments that need to be overcame by youth. Deportation is one of the punishment instruments tools used by the European Union for years as a way to limit the immigration movement from the South Mediterranean countries to Europe. In this context, this qualitative research was carried out in Sfax, Kelibia Redeyef, and Tunis. Thirty interviews with youth aged between 20 and 30 were conducted in an attempt to perceive the phenomenon of illegal immigration as a social and personal experience and its reasons as explained by youth themselves who expressed their views, a view that is neglected by Tunisian public political authorities and media. However, this research focuses mainly on deportation from the Italian territories as perceived by deported youth themselves, an

experience that they deem tough as it reflects their failure to fulfill their personal dreams. The deportation experience sounds like a story they recite and that adds value to their personality, as they were actually people with no story to tell. The deportation experience influences the deported psychologically and economically, namely, those who have lived longer periods in Europe and who feel that they were forcibly expelled from a place they are familiar with pushing them to isolation, stress and permanent depression. At the economic level, the deported person lives in miserable economic conditions, they are unable to

integrate economically, driving them to rethink about immigrating again. Thus deportation is a security measure and a political approach that is transferred from an instrument of

punishment into an incentive factor driving youth to rethink about immigrating again. Deportation has as a consequence, adverse impacts and a new approach to illegal

immigration shall be adopted between Tunisia and the European Union.

إشكالية البحث:

الهجرة غير النظامية ليست مجرد ظاهرة يتم إدراكها وفهمها من خلال ملامحها المورفولوجيةفقط، والمتعلقة بعدد الذين يعبرون الحدود بطريقة غير نظامية، وفق التسميات المتعددة للسلطات الرسمية، بل لا بد من مقاربتها أيضا من زاوية التجارب الذاتية،وتمثلات الفاعلين أنفسهم، الذين يمتلكون ويضفون معنى لتجربة الهجرة غير النظامية. والتي بقدر ما تبدو تجربة جماعية وإجتماعية أساسا إلا أنها على نحو ما، تجربة ذاتية وشخصية، بل وعاطفية أحيانا أخرى. هذا ما تبينه المقابلات التي أجريناها، الأمر الذي يعني أن فهم أي أعمق للهجرة غير النظامية يقتضي، ضرورة، إدراج المستويات الذاتية المتعلقة بخطابات الفاعلين وتمثلاتهم، وتصوراتهم لفهم " الدوافع " التي تجعل جزء من الشباب التونسي ينخرط في مسار هجروي غير نظامي، قد ينتهي "بالنجاح" مثلما قد ينتهي " بالفشل" و يكون المسار حينها "عود على بدء. يتطابق هذا الأمر مع المهاجرين غير النظاميين الذين عاشوا تجربة الترحيل القسري من الأراضي الإيطالية، بعد أن خاضوا تجربة "الحرقة" ،و هذامبحث هذه الدراسة، دون أن يحققوا أهدافهم و أحلامهم التي حركت فيهم الرغبة في المغادرة. و هي رغبة و عاطفة لها جذور إجتماعية و اقتصادية، و المغادرة تعني لدى الشبان الذين تحدثنا إليهم " الرغبة في تحقيق القطيعة " مع واقع يعيشونه بوصفه "غير محتمل" و يشعرهم دائما أنهم في وضعية " إخفاء إجتماعي" ، على نحو تتحول الهجرة غير النظامية ليس فقط كخيار لتحقيق الخلاص الفردي و لكن أيضا كملجأ من أجل الخروج من وضعية الإخفاء تلك، بما يعني أن هناك رغبة لتحقيق للذات سواء على مستوى خوض التجربة في ذاتها، أو في على مستوى تحسين الوضع الاقتصادي، وذلك ضمن سياق تعطلت فيه مسارات الحراك الإجتماعي الاعتيادي التي كانت تضمنها المؤسسات التقليدية، و المتمثلة أساسا في المدرسة، و بالتالي فالشباب في تونس، بمختلف تنوعاته، صار يعيش حالة من اللامعيارية الناتجة عن تراجع الضمانات المتعلقة بالمستقبل، فثمة حالة من اللايقين و هو لايقين يفترض " المغامرة" على نحو يجعل من "الحرقة" سلوك محفوف بالمخاطر.ولكن الرغبة في الهجرة السرية لا تحركها فقط دافعية المغامرةوالمخاطرة، بل هي مشروع عقلاني يتم التخطيط له ونجاحه إنمايرتبط بمدى انخراط الفاعلين في شبكة من العلاقات،وهي شبكات تتشكل في الغالب في " الهامش" و " من تحت"، أي أنها منفلتة من رقابة المؤسسات التقليدية، فجل الشبان الذين تحدثنا إليهم شكلوا تمثلاتهم ورغباتهموتصوراتهم عن الهجرة غير النظامية في " جماعات الرفاق" وهي"جماعات هوية" لها إنغراس مجالي خاصة في الأحياء الشعبية التي ينحدر منها أغلب الذين خاضوا تجربة الحرقة. " فالحارق" هو " إبن الحومة" في النهاية،وهو الذيقد يعول عليه ويستعان به سواءا خلال الرحلة أو هناك في " الغربة"، إذا ما كان قد سبقونجحفي "

اقتناص فرصة النجاح". تجربة الحرقة ليست فعلا فرديا، إنها فعل جماعي بامتيازوهو فعل جماعي من ناحية كونه يتيح إعادة تركيب الروابط الإجتماعية ضمن أطر لاشكلية، في ظل تآكل التضامنات التقليدية التي ارتبطت بالعائلة،والمدرسةوالدولة. فالتحول النوعي الذي يعرفه المجتمع التونسي، يتمثل أساسا في الانخراط في صيرورة " تهاوي المؤسسات" والتي تعني فيم تعنيه أن المؤسسات المانحة للمعنى والضامنة للحد الأدنى من الإندماج الإجتماعي قد تآكلت، أي أن ماكان يعهد بالأمس للمؤسسات صار اليوم يعهد للفرد، على نحو بات الشعور الذي يعتري الأفراد، وبشكل خاص الفئات الشبابية الهشة، يتمثل أساسا في كونهم متروكين قد أصبحوا متروكين لحسابهم، وأن عليهم أن يدبروا أمرهم بأمرهم. في هذا الصدد، يغدو الانخراط في تجربة الهجرة غير النظامية فعل " لتدبير الذات" وتعويل على الذات خارج الأطر الرسمية وبغض النظر عن كونها " سلوك محفوف

1. Laachar (Samian), « Elément pour une sociologie d'exil » in Politix, 2005/n°69

بالمخاطر"، فهي تجربة لها دلالة ومانحة للمعنى بالنسبة للشبان الذين أجرينا معهم حتى في ظل " الفشل" و " عدم تحقيق المشروع الهجروي" الذي "ينتهي" من خلال عملية " الترحيل القسري".

الترحيل من هو جزء من تجربة الهجرة غير النظامية وليس منفصل عنها،ولكن غالبية الدراسات السوسيولوجية التي تناولت ظاهر الهجرة غير النظامية في تونس، اهملت الحديث عن تجربة الترحيل القسري والعودة على بدء مثلما يعيشها المهاجرون غير النظاميون المرحلون، حيث ركزت أساسا على بعدينأساسين:البعد الأول وهو جانب بنيوي يتعلق أساسا بالأسباب والعوامل التي تفسر انخراط الشباب في ظاهرة الهجرة غير النظامية. أما البعد الثاني فركز على المراحل المتتالية للهجرة غير النظامية من لحظة بدايتها إلى لحظة تحققها. لكن ما أهملته غالبية الدراسات المتوفرة هو " تجربة الترحيل التقسري" من أروبا،كما يعيشها الذين وصلوا إلى أروبا عن طريق " الهجرة غير النظامية"، و هي تجربة تمثل في الحقيقة مدخلا لمزيد فهم التعاطي السياسي لدول الإتحاد الأروبي مع ظاهرة الهجرة غير النظامية من خلال الإدارة الأمنية، و التي يشكل الترحيل القسري أحد نتائجها، و هي تندرج في إطار التصرف و مراقبة الحدود، ذلك أن المهاجرون غير النظاميون مثلما تعرفهم الأدبيات الكلاسيكية لعلم الإجتماع الهجرة هم هؤلاء " الغرباء الموجودون على ارض الهجرة دون أن يمتلكوا " الحق في الزيارة" أو " "الحق في الإقامة"وهي مكونات ما يطلق يسميه الحس المشترك بالهجرة السرية" مما يعني أن الوجود بشكل غير قانوني داخل "الحدود الوطنية" بما هو حدود سيادية يشرع الترحيل كممارسة أمنية، و كحق سيادي بالنسبة للدول المستقبلة في طرد " غير المرغوب فيهم" من حدودها السيادية.وهي نفس الممارسة العقابية التي تمارسها حكوماتدول الإنطلاق، تونس في سياق هذا البحث، تحت مسمى قانوني يتمثل في " تجاوز الحدود خلسة" فالحدود بهذا المعنى هي رهان سياسي وأمني لهذا يتم تشديد الرقابة من جهة الانطلاقوالوصول. وذلك من أجل الإدارة و الحد من تدفقات المهاجرين غير النظاميين و لكن بالمقابل فالحدود "جعلت لتخترق"كما يوضح عالم الإجتماع الألماني " إلريش بيك" في كتابه المعنون " Qu'est ce qu'est ce ? que le cosmopolitisme " الصادر سنة 2006 حيث يعتبر أن" المهاجرون السّريّون هم فنانو الحدود حيث يجسدون تشويش وخلط الحدود بين الأمم والدولوبين الأنظمة القانونية المتناقضة" . يعتبر بيك أن الحدود يجب " الالتفاف عليها وإستعمالهاوتشكيلهاوعبورها" ومن يعبرونها " من الممكن أن يتعثروا وهم يبحثون عن توازنهم" بمعنى آخر الهجرة غير النظامية، تغدو عملية إعادة تركيب للحدود قد تنتهي بالفشل، والتعثر وفق العبارة بالغة الدلالة التي إستعملها " إلريش بك". من هذا المنطلق سنقارب تجربة الترحيل القسري للمهاجرين غير النظاميين الذين عبروا "الحدود السيادية لتونس وإيطاليا" بطريقة غير نظامية وخارج المنظومات الرسمية من زاوية الحدود، كما يعيشها المرحلون أنفسهم. وذلك حتى نفهم من جهة، الكيفية التي تدير بها السلطات الإيطالية تدفقات المهاجرين غير النظاميين.من ناحية أخرى، سنعمل على فهم كيفية تعامل الدولة التونسيةمع ما يمكن أن نسميه " بهجرة العودة"،والتي تتم في سياق هذا البحث بصفة قسرية، فالترحيل هو بشكل أو بآخر نوع من الهجرة في إتجاه بلد الأصل ولكن بصفة قسرية وغير إرادية. ولكن البحث يركز أكثر، من زاوية تفهمية، على إستتبعات الترحيل القسري من إيطاليا نحو تونس على الشبان المرحلين في مستوى مساراتهم الحياتية،وفي مستوى صياغة هوياتهم الفردية.وأيضا فيم يتعلق بوضعهم الاقتصادي بعد الترحيل ومدى تحول تجربة الترحيل إلى عامل لفهم " ظاهرةالعود " لخوض الهجرة غير النظامية. وبالتالي فالإشكالية الرئيسية التي تهيكل البحث تتمثل في الربط الدلالي

2. Beck (Ulrich), Qu'est ce que le cosmopolitisme ?,Aubier, Paris, 2006. P.185

3. Beck (Ulrich), ibid, p.185

4. Beck (Ulrich), ibid, p.184

5. نستعير عبارة العود من سوسيولوجيا الإنحراف و سوسيولوجيا السجن حيث تتعلق ظاهرة العود بالمساجين الذين يغادرون السجن ثم يعودون بشكل متكرر إليه دون أن تعني هذا أننا نقارب الهجرة غير النظامية بوصفها سلوك انحرافي يستوجب الإصلاح.

بين الهجرة غير النظامية وتجربة الترحيل والتجارب الذاتية للمرحلين، على نحو يمكننامن فهم الكيفية التي يتحدثون بها عن تجربتي الحرقة، والترحيل وكيف يؤدي التفاعل بين التجربتين إلى إنتاج هويات فردية متعددة المسارات.

I. منهجية البحث

1. التمشي الكيفي

لا يمكن اختزال الهجرة غير النظامية فقط في المعطيات البنيوية،والموضوعية المتعلقة بالفقر والبطالة والهشاشة المهنية التي يواجها الشبان المرحلون، والتي تجعلهم ينخرطون في مسار الهجرة غير النظامية على نحو يجعل دراسة ظاهرة الهجرة غير النظامية (الحرقة) تكتسي نوع من الصعوبة. وهي صعوبة تتعلق بضرورة تجاوز الصور والآراء التي يتداولها الحس المشترك ووسائل الإعلام، وبعض الخطابات السياسية حول الظاهرة. لكن أيضا الصعوبة تتعلق بتعددية أبعاد الظاهرة لا تسمح بتحليل العلاقات الحينية للفاعلين في خصوصيتها وفي لحظة معينة من تاريخهم الحياتي. لهذا السبب، ما تم تدوينه من خلال البحث الميداني وحوله "ليس سوى الجزء الظاهر من العلاقات والميكانيزمات المرتبطة بالعلاقات الإجتماعية،ولفهم هذه الآليات يجب بناء موضوع البحث على نحو يتضاد مع المظاهر" بهذا المعنى يجب الأخذ في الاعتبار لفهم خيارات الهجرة غير النظامية،وتجربة الترحيل التعقيدات والتداخلات التي تحدد حياة الشبان وتحدد بالتالي المعاني التي يضفيها الفاعلون على تجربة الهجرة غير النظامية وتجربةالترحيل، وذلك من خلال وضعها في سياق إقتصادي وإجتماعي محدد.

وفق هذا، فهذا البحث يتموضع منهجيا ضمن تمش تفهمي الذي يقارب مهمة الباحث في علم الإجتماع بوصفها مساهمة في جعل العلاقات و التفاعلات الإجتماعية قابلة للتفكر فيها، و هي المهمة التي سنقوم بها من خلال فهم تجربة الهجرة غير النظامية، على نحو حدسي و تعاطفي، و لكن أيضا بجعلها قابلة أن يتم التفكير فيها في إطار مشروع معرفة فكرية وعقلانية وبالتالي فهدفنا الأساسي يتمثل في فهم الفعل الهجروي غير النظامي وتجربة الترحيل لدى الشبان الذين أجرينا معهم المقابلات في كل من تونس العاصمة، وصفاقس، والرديف وقليبية، وذلك بالتركيز على المعنى الذي يعطيه الشبان المرحلون قسريا سواء لتجربة الهجرة غير النظامية التي خاضوها، أو لتجربة الترحيل القسري التي تعرضوا لها. ولكن المعنى الذي يضفيه الفاعلون على تجاربهم لا يمكن إدراكه بإهمال البنى الإجتماعية، والشروط العامة التي تصنع ظاهرة " الهجرة غير النظامية" والتي يتحرك في إطارها وضمنها الفاعلون، بعبارة أخرى سنحاول أن نبين، على قدر الإمكان ومن أجل فهم أعمق، التداخلات المستمرة بين الموضوعي، والذاتي وبين الشخصي والبنيوي في خضم العلاقات التي تتشكل بين فاعلين مختلفين في إطار تجربتي الترحيل القسري والهجرة غير النظامية.

يمكننا المنهج الكيفي، في ذات الوقت، من فهم وتفسير مجموع المكابدات les souffrances المتولدة عن تجربة الهجرة غير النظامية وتجربة الترحيل، بما هما تجربتين متداخلتين في الحقيقة على نحو يجعلهما بنية علائقية قائمة على مجموعة من العلاقات والتداخلات المعقدة. بالمقابل، يمكننا المنهج الكيفي من إدراك المعاناة التي يعيشها المرحلون من زاوية كونها تجارب حميمية، دون السقوط في المقارنات البيفردية، وعلى هذا النحو يمكن الإصغاء أكثر لصوت الفاعلين وقصصهم ، لهذا سوف نبحث عن " "حقيقة الهجرة غير النظامية والترحيل"من خلال كلام

6. Mahnaz (Shirali), Entre Islam et Démocratie : parcours des jeunes français aujourd'hui : Paris, Armand Colin, 2007, p.49
7. Shnapper (Dominique), La compréhension sociologique. Démarche de l'analyse typologique, Paris, PUF, 1999.p.3
8. De Gaulejac (Vincent), le travail, la raison de la colère, Paris, Seuil, 2011, p.17

و تفكير المرحلون قسريا أنفسهم، أي من خلال الكلمات التي يستعملونها،وطريقة صنعهم لمعنى وضعياتهم الشخصية والجماعية.ذلك أن السؤال المركزي الذي يهيكل هذا البحث يتمثل أساسا في: كيف يعيش المرحلون تجربة الترحيل وكيف عاشوا من قبلها تجربة الهجرة غير النظامية ؟ وكيف تتمظهر هذه التجارب في سلوكاتهم وطرق تأويلهم لوضعياتهم الإجتماعية وجملة الإكراهات التي تفرض عليهم؟

إنطلاقا من هذا التساؤلات سنحاول أن ندرس تجربتي الترحيل القسري والهجرة غير النظامية بوصفهما " محنة" مرتبطة " برهانات جماعية للبنى الإجتماعية" بعبارة عالم الإجتماع الأمريكي ورايت ميلز. بعبارة أخرى، سنحاول من خلال أفكار، وشهادات وتجارب الشبان المرحلون قسرياوتحولت لكل واحد منهم مجموعة من المحن القابلة للتأويل،والمواجهة من خلال خيار الهجرة غير النظامية بوصفه إستراتيجيا وخيار للتفاعل مع الإكراهات البنيوية. بهذا المعنى لا يمكن أن نفسر تجربتي الترحيل القسري والهجرة غير النظامية عبر العوامل الاقتصاديةوالإجتماعية، بل بالكيفية التي يعيشها بها الفاعلون هذه العوامل ذاتياوجماعيا وذلك بما هي بنى إجتماعية وأشكال هيمنة يتعرضون لها بوصفها محن قاسية ومؤثرة في حياتهم. إذا فالهجرة غير النظامية، تغدو بهذا المعنى بمثابة الإجابةالجماعية على سلسلة من الإكراهات البنيوية وأشكال الهيمنة على نحو يجعلها تظهر بوصفها حلا لمشكلات الفقر،والبطالةوالهشاشة المهنية،والإقصاء الإجتماعي، الذي تعيش على وقعه الفئات الشبابية في تونس منذ سنوات.

يمتلك الشبان الذين التقيناهم " خيالا سوسيولوجيا" من صياغة مواقف جعلتهم يضعون المحن التي يعيشونها ضمن سياق إجتماعي،وتاريخيوسياسيأوسع، مما يجعلهم لا يتحدثون عن تجاربهم فقط بوصفها تجارب فردية بل بوصفها تجارب تخص من يشبههم. والتي يفسرونها بكونها نتيجة لأسباب خارجة عن إرادتهم. بهذا المعنى، لا يظهر المهاجرون غير النظاميون الذي وقع ترحيلهم، مثلما تصورهم وسائل الإعلام، بوصفهم " منحرفون" غير مستبطنين على نحو جيد "المعايير الإجتماعية" أو " مجرمين" يجب تأهيلهم أو القضاء عليهم. هم كذلك ليسوا " ضحايا" نسق إجتماعي لا يفهمونه،ومجردون بالتالي من كل قدرة على الفعل. فإذا كانوا كذلك فعلا يصبح من غير المجدي الحديث إليهم، لأنه لن يكون لهم أي وجود وكلامهم سيكون مجردا من كل معنى، لهذا فهذا البحث يتأسس على تأكيد قدرة الفعل التي يمتلكها المهاجرون غير النظاميون، فهم ليسوا " أشرارا" أو " ضحايا"، بل هم فاعلون في صيرورة الحياة الإجتماعية على نحو تتخذ فيها سلوكاتهم معنى ودلالة.وهنا لا تبدو المهمة البحثية التي نقوم بها مجرد تفسير لسلوكيات الفاعلين (المرحلين في سياق هذا البحث) وتعرية للبني الموضوعية المغطاة بالأوهام الذاتية والحتميات المتخفية تحت يافطة حرية الفعل، بل إن مهمتنا تتمثل في "تسييس السلوكيات الإجتماعية" وتبيان المعنى الذي يمتلكه الفاعلون حولها وبشكل عام حول الهجرة غير النظامية كتجربة حياتية وموضعتها من ثمة في علاقات الهيمنة والسلطة.

لهذا كي ندرك " الهجرة غير النظامية " وتجربة الترحيل " لا يوجد تمش غير إعادة بناء تجارب الشبان الذين تحدثنا إليهم إنطلاقا من قصصهم، وتمثلاتهم،والتجارب التي خاضوها خلال مشروعهم الهجروي وبعد الترحيل. لعل الملاحظات الأولى في هذا الصدد، هي التناقضات وتعددية مستويات التأويل لكل الشبان الذين شاركوا في تجربة الهجرة غير النظامية نحو أوروبا وتم ترحيلهم قسريا، الأمر الذي يعني التحليل وفق منطق المسارات

9. Martucelli (Danilo), Forgé par l'épreuve : l'individu dans la France contemporaine. Paris, Armand Colin, 2006.
(les épreuves selon Danilo Martucelli sont « le résultat d'une série de déterminants structurels et institutionnels, se déclinant différemment selon les trajectoires et les places sociales…les acteurs peuvent, en s'y mesurant, réussir ou échouer. »

10. De Gaulejac (Vincent), le travail, la raison de la colère, Paris, Seuil, 2011, p.17

الفردية. لنبحث من بعد ذلك عن التقاطعات المشتركة في تجارب وتأويلات ذاتية متنوعة وهو ما سيمكننا من فهم منطقيات الفعل المرتبطة بالهجرة غير النظامية وتجربة الترحيل كما عاشها ويعيشها الشبان الذين التقيناهم.

4. الميدان وتقنيات البحث

● المقابلة شبه الموجهة

اعتمدنا لجمع الشهادات المتعلقة بتجربتي الهجرة غير النظامية و الترحيل القسري من إيطاليا على تقنية المقابلة شبه الموجهة، لكي نتيح للشبان الذين عاشوا التجربتين أن يتحدثوا و يقدموا وجهة نظرهم الشخصية حول الكيفية التي عاشوا بها تجربتهم.و تنبع فاعلية المقابلة شبه الموجهة، مثلما يعتبر كل من ألان بلانشيه و آن قوتمان "، حين نريد تحليل المعنى الذي يعطيه الفاعلون لممارساتهم، و للأحداث التي كانوا شاهدين عليها بشكل نشط، و أيضا حينما نريد أن نفهم انساق القيم، و الموجهات المعيارية التي يسيرون و يتحددون" والاعتماد على جمع المعطيات حول تجربتي الهجرة غير النظامية، و الترحيل القسري يجعل من الباحث على نحو ما جزءا من " موضوع البحث"، على نحو يقتضي بعدم الاكتفاء بوصف السلوكيات و تقديم خطابات الفاعلين في شكلها الخام،بل العمل على تفكيك دلالاتها و إعادة بنائها سوسيولوجيا.وهذا ما سنعمل عليه، مثلما بينا سابقا، في هذا البحث.

ينقسم دليل المقابلة إلى أربعة محاور أساسية: المحور الأول يتعلق بالملامح الإجتماعية والديمغرافية للشبان المرحلين.ونهدف من ورائه إلى معرفة الارتباط بين جملة هذه الخصائص والانخراط في الهجرة غير النظامية ومدى تأثر تجربة الترحيل على المبحوثين،والبحث عن هذه الروابط لا يندرج في إقامة علاقة سببية تربط بين عوامل ونتائج.وإنما سنعمل على البحث عن علاقات ذات دلالة يمكن في مراحل وبحوث أخرى تأكيدها أو نفيها إحصائيا. فما نسعى إليه هو بناء فرضيات. أما المحور الثاني فيتعلق بمرحلة ما قبل الوصول إلى إيطاليا.وتحديدا إلى جزيرة لامبيدوزا أي مرحلة التخطيط للهجرة،والانخراط في الشبكة ونقطة الإنطلاق. أما المحور الثالث: فيتعلق بتجربة الوصول إلى لامبيدوزا والمرور بتجربة الإيواء وكذلك تجربة العيش في إيطاليا لننتهي بالمحور الأخير،وهو المحور الأساسي في هذا البحث ويتعلق بتجربة الترحيل والمتعلقة بالأسباب،والإجراءات التي إتخذتها السلطات الإيطالية وطرق تعامل السلطات التونسية أثناء الوصول وكذلك الآثار النفسية والإجتماعية لعملية الترحيل والتي تهيكلوجهة نظر المبحوثين،الذين هاجر أغلبهم بعد سنة 2011.

● الميدان

تم إنجاز هذا البحث خلال شهري جويلية وأوت 2018 في كل من مدينة الرديف،ومدينة قليبية وصفاقس،وتونس العاصمة،وتشكل كل من قليبية،وصفاقسنقاط إنطلاق للمهاجرين غير النظاميينحوإيطاليا. يعيش جل المبحوثين الذين أجرينا معهم مقابلات في الأحياء الشعبية المحيطة بهذه المدن و هي أحياء تفتقد للبنية التحتية الجيدة، و تنتشر فيها البطالة و الهشاشة المهنية خاصة في صفوف الشباب، على نحو يجعلها تساهم في تعميق صورة سلبية عن الذات، خاصة في ضل الوصم اللاحق بها إضافة إلى زيادة الشعور بالحيف و اللامساواة، ذلك أن المقارنات مع الفئات المترفهة كثيرا ما نلاحظ حضوره بشكل طاغي في خطابات المستجوبين فكل المستجوبين يبررون انخراطهم في الهجرة غير النظاميةبكونهم يعيشون " الاحتقار" و " الإقصاء" ويعتريهم شعور مؤلم باللامساواة، و الرغبة أن يكونوا مثل الآخرين.

11. Blanchet (Alain) et Gottman (Anne), l'enquête et ses méthodes : l'entretien, Paris, Nathan Université, p.27

المحور الأول: من هم المرحلون؟

الملامح الاجتماعيةوالمسارات الحياتية للمبحوثين

I. المسار الدراسي: إنقطاع مبكر عن الدراسة

1. المدرسة لم تعد تصلح للحياة!

جل الشبان المبحوثين الذين إلتقيناهم تتراوح أعمارهم بين 18 و30 سنة، يشتركون في سمة أساسية وهي أنهم عاشوا "تجربة الفشل المدرسي" من خلال الإنقطاع المبكر عن الدراسة.ويبررون هذا الإنقطاع بعدة أسباب تتروا ح بين الصعوباتالاقتصادية،وعدم الرغبة في مواصلة الدراسة، لأن المدرسة في نظرهم لم تعد لها من جدوى في ظل إرتفاع بطالة أصحاب الشهائد العليا،وبالتاليفالانقطاع هو إستراتيجيا " لاختصار الطريق"وترتبط هذه التحولات بتعطل المدرسة كمصعد إجتماعي وآلية للإندماج الإقتصادي،وهو ما غير التمثلات حولها حيثلم تعد تضمن بالقدر الكافي تحسين الأوضاع الاقتصاديةوالإندماج في عالم العمل. لكن الأمر لا يتعلق فقط بالمدرسة كجهاز لإعادة إنتاج اللامساواة الإجتماعية، بل المسألة متعلقة بغياب أطر وسيطة تستوعب المنقطعين مبكرا عن الدراسة مثل التكوين المهني، فجل المنقطعين عن الدراسة يبقون في وضعية انتظار وضمن ثنائية " دون عمل ودون تكوين".

والله بطلت خاطر ظروف الدار، ونشوف في الولاد كيفاش ماشين حارقين، واحد متاع قراية وإلا باش نكمل نواصل نقرا، بخلت أنا بيدي gout معادش عندي بخلت جبدت روحي على القراية ومن الصغرة مخي ماشي للحرقة. ديجا مشيت المرة الأولى، شدوني، رجعوني

" العربي 28 سنة، حي الكبارية، تونس العاصمة

بطلت القراية من ضروف بابا ماعادش يقد يشريلنا حتى طبلية بش نقروا بيها و إلا " كراسة باش نقروا بيها بطلت"القراية عمري أحداش سنا مشيت طول نخدم

" منور، 25 سنة ، الرديف

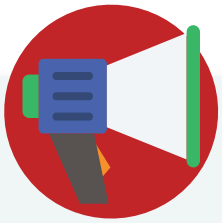

بطلت ما نجحتش و ال entourage ، كل مرة كيفاش نشوف صحابي و أولاد حومتي و إلا من العايلة، تلقاهم باك 3+و إلا ماجستير و مبعد يقعد بالسيف يخدم، و تحبلوا عامين ثلاثة باش يدبر خدمة و مبعد يجي يخدم نقلوا إلي أنا هاذوما وقت إلي بطلت العام sivp قداش شهريتك يقلي 350 و 400 مع الأول و خدمت ، نخدم في قهوة ناخو 650 دينار معناها أكثر منو هو، معناها الشيئ الي يشجع على التبطيل ..معناها نقول أنا باش نرجع نقرا أنا 3 سنين و بعدهم منيش عارف نقعد معطل ..كان عملوا كاباس من 40 ألف واحد يقدم يهزوا كان ألف ..39 الف مشاو و مشات فلوسهم و مشات بكلهم ..و هاك الالف الي باش يهزوهم ديجا فيهم 800 بالأكتاف و 200 منيش عارف شنو...أصلا سيستام البلاد ميشجعكش ..داخل بعضو السيستام..كان جاء كيف البرة، كيف أوروبا تاخوا الباك تاخو وضيفة بعد الباك ..تكمل الماجستير تاخو وظيفة بعد الماجستير ..تخدم تخدم..حاجة تساعدك و تعاونك كيما هوني..هوني هاك تشوف ..منعرفش كان كملت قرايتك قداش الشهرية اللي باش تاخوها، منعرفش تحبلك عامين باش توصل للزوز ملاين ، وقت إلي هوما توة معادش يعمللولك حتى شيئ...معاش يعملو حتى شي..عامليون هذا ..مليون ميعشكش ..كان باش تعرس و شهريتك مليون و مرتك متخدمش زايد متعرسش خير..عندك ماء وضوء وكوش ..تجي تخدم معادش تنجم تستوعب..هاذم برشا حاجات يحطوك متكملش

" محمد ، 25 سنة ، حي الحبيب ، صفاقسة

وخدمت في السوق في الصيف في السوق ودارت الفلوس في يديا بعثت القراية تشيت..
حكاية "فارغة القراية متوصلش

"محمد، 25 سنة قليبية

2. الهشاشة المهنية أو إقتصاد الاستمرار في العيش

إذا ما إفترضنا مع " زيغمنت بومان" أننا نعيش في عالم مرن، حيث فقدت المؤسسات التي شكلت الأزمنة السابقة صلابتها (مثل العائلة وعالم العمل) وتتحول إلى مؤسسات مرنة وإنسيابية فإن هذا التحول النوعي قد أخذ تجلياته السوسيولوجية في عالم العمل الذي بات، في سياق ما بعد الفوردية، يتسم بعدم الثبات والمرونة ، التي تعني في جزء منها تفريد عقد العمل و هي تفريد يعني تحرير العمل من صرامة الإتفاقيات الجماعية، والقانونية وهنا يعوض العمل المعياري بالعمل غير المعياري، مثلما يشير بحصافة عالم الإجتماع الفرنسي كلود ديبار حيث يرى " فالنمو الإقتصادي تحت شروط السوق العالمية الراهنة يجعل من تصور التشغيل الكامل التقليدي، أي مناصب العمل المستمرة مدى الحياة مع ما يتبعها من ترقية وما إلى ذلك تصورا قديما". فسوق الشغل يسير في إتجاه تقلص الضمانات المتمثلة في نظام الحماية الإجتماعية الذي طالما كان في صلب المطالب الرئيسية للنقابات والحركات العمالية.

في مستوى آخر يبدو وفق ما تؤكده عدة دراسات إقتصادية أن سوق العمل في تونس بقدر ما صار يتسم بنوع من المرونة فيم يتعلق بالتشغيل، فهو لا يوفر من ناحية فرص الشغل سوى " المهن الصغيرة" و " الهشة" التي تضمن إندماج إقتصادي للوافدين إلى سوق الشغل سواء من ذوي الشهادات الجامعية، أو من المنقطعين عن الدراسة و هو ما يخلق وضعيات "عدم ثبات" إزاء العمل " وهو ما يؤدي مثلما يبين روبار كستال إلى نوع من " مخاطر الإتجاه نحو " العطوبة الإجتماعية la vulérabilité sociale حيث يواجه الفرد على نحو مزدوج فقدان العمل والعزلة العلائقية، ويحدث هذا ضمن انهيار الدعامات السابقة وتفكك شبكات الأمان الإجتماعي التي كانت تحقق جملة من الضمانات . ضمن هذا التحول تحديدا يتحدث بعض علماء الإجتماع عن تهاوي المؤسسات le déclin des institutions وهو تهاوي يخص المؤسسات التي إرتبطت في السياق التونسي بالمشروع التحديثي لدولة الإستقلال، وتحديدا بالمدرسة والنظام الصحي وشبكات الحماية الإجتماعية. في هذا الصدد، و مثلما يشير عالم الإجتماع التشيلي دانيلو مارتوشيلي، " الوهن المتوقع للمؤسسة ، مثلما تعبر عنه كلمة تحلل المؤسسة، يعني أن كل ما كان يعهد بالأمس للكفالة الجماعية للمؤسسات قد أضحى اليوم يترك أكثر فأكثر إلى الفرد نفسه، الذي عليه أن يتحمل لوحده مصيره الخاص و كأن التفكك و الأفول هو مسار حياته الشخصية" و لهذا فالشعور باللامساواة و الحيف و عدم القدرة على توقع المستقبل في ظل مسارات شخصية ومهنية متقطعة هي سمة الغالبة على الشبان المرحلون قسريا و الذين قمنا بالحديث إليهم فهم يشعرون أنهم في ظل ما عاشوه و يعيشونه من غياب " أفق للحياة الشخصية و المهنية" هم مجبرون على أن يدبروا أمرهم بأمرهم و يتنزل خيار الهجرة غير النظامية في هذا الصدد و لكن قبل ذلك الانخراط في مهن هشة.

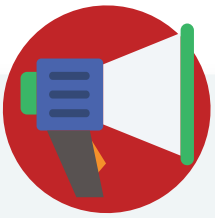

الباحث: تخدم توة ولا؟ هشام: خدمة معناها أي حاجة نخدمها، عندك حاجة منحبش نقعد بطال نتكيف، نحب حق دخاني، حق قهوتي، معناها إذا كان وفرت هذو الزوز معادش نخمم في حاجة أخرى. معناها نمشي نخدم، أعطيني نخدم ضو، نخدم مرمة، نخدم دهن، نخدم جبس، نخدم خدمتها الكل، المهم معناها نوفر قوت يومي.. أش نصرف وأكهو.. الباحث: كيفاه تلوج على خدمة؟ الأكثرية معناها الكلام في القهوة، عندكش خدمة. نلقى واحد يحكي على المرمة.. نقلوا متحبش خدمة خدام يخدم معاك والأكثرية ديما كيف هكة معناها في الشارع توصي، تعطي كلمة لهذا تلقاه يخدم قلو المعلم متاعك ما يحبش خدام.. ديما كيف هكاكا معناها

"هشام: 27 سنة . الرديف

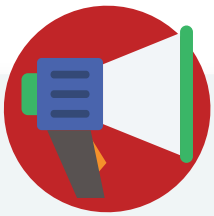

حاليا نخدم جزار ، إذا كان مخدمتش، معناها أحسب روحك باش تشري قهوة العشية و ماكش باش تصرف و ماكش باش تشري باكو الدخان و حتى شي كان هبطت الصباح تشري باكو الدخان و تصرف على داركم . مهبطش الصباح مفماش هذا الكل بالحق أمور نعيش فيها كل يوم.. إحتجيت و المعتمد قابلتوا ألف مرة من 2008 و نا نقابل ..معندكش الحق .. ماكش مواطن تونسي يقلولك بلغة أخرى

"امنور 26 سنة، الرديف

لوجت أول مروحت من إيطاليا و الله أمي قتلي شوف خدمة و إستقر " معناها...تي مفما شي هاك تشوف ناس بشهايدها و مش لاقية خدمة خلي واحد خارج من التاسعة أساسي ..شفت راني البلدية و شفت معامل و برشا بلايص ..باش نكذب عليك مفما شيئ

" ياسين 25 سنة ، حي التحرير تونس العاصمة

بطال ساعات ندبر أيامات مرمة و إلا دهينة..كل مرة نخدم مع واحد ..مرة نخدم ..مرة لا ..كيف محكيتلك .أما منيش راضي على الخدمة تحت الرجال ..مذلة يا صاحبي

" عادل. 38 سنة قليبية

تذهب بنا هذه الشهادات إلى أن المرحلين هم غير منخرطون بالقدر الكافي عالم العمل، بل بالعكس من ذلك هم على هامشه، و هذا ما يجعلهم محط خوف دائم من المستقبل و هو ما دفعهم و يدفعهم للتفكير في خوض تجربة الهجرة غير النظامية، فغالبيتهم يمارسون مهن القطاع اللاشكلي و غير المنظم و المهن الصغيرة التي يمكن إدراجها فيم يمكن تسميته " باقتصاد الاستمرار في العيش" و هو ما يعبر عنه المستجوبون خلال المقابلات " بتدبير الراس" أي الحصول على المال بكل الطرق الممكنة من ذلك غير القانونية (بيع الحشيش، السرقة أحيانا، و المهن الهامشية الصغيرة) و ذلك لحل مشاكل مادية يومية شخصية. لهذا يتشكل نوع من الإقتصاد الأخلاقي

ا.المرتبط باقتصاد تدبير الذات، والاستمرار في العيش، وهو إقتصاد يشكل أحد المكونات الأساسية للشبان المرحلين قسريا حيث يظهر بمثابة " جري وراء الخبزة" لضمان الحد الأدنى من الكرامة الشخصية وعدم التعويل على العائلة وممارسات ". و تقوم ، ممارسات إقتصاد الاستمرار في العيش على البحث عن الفرص و الارتجال اليومي، و بالتالي فالعلاقة بالعمل في "معيش المرحلين"الذين تحدثنا إليهم لا يظهر كقيمة في ذاته يتحقق عبرها الاعتراف، بل فقط كمرحلة مؤقتة ووسيلة لضمان حاجيات شخصية لا غير، لهذا يعبر لنا أغلب المستجوبين بكونهم يعيشون الحياة يوم بيوم على نحو يجعلهم غارقون في الحاضر بلا أمل في المستقبل على نحو يشعر بعضهم بكونه في حالة موت و الإحساس بالموت له دلالة عميقة تتعلق بتمثل الوجود الشخصي بكونه وجود مخفي و غير مجدي في الآن ذاته، و هذا الإحساس هو الذي يدفع بالعديد من الشبان بخوض تجربة "الهجرة غير النظامية" بوصفها و مغامرة يمكن قبولها حتى و إن فشلت .

فالإعتقاد السائد لدى أغلب المستجوبين أن الهجرة غير النظامية هي مغامرة ومخاطرة قد تؤدي بحياتهم حيث ثمة وعي بأن الموت جزء من المغامرة ولذا يتم التطبيع معه من قبلهم حيث يسود لديهم الشعور " أن ليس لديهم ما يخسرونه" لهذا فهم " يقبلون المغامرة".

أنا منيش عايش نحس روحي ميت

"

" عادل. 38 سنة قليبية

3. علاقة مفارقية مع الحومة

يعيش جل الشبان الذين تحدثنا إليهم في هوامش المدن والأمكنة التي تقع في الترابية السفلى للأماكن، الأحياء الشعبية تحديدا. و هي أماكن تتسم بتهرؤ البنية التحتية، و غياب الخدمات العمومية و هو ما يجعلها موصومة، و هو وصم يعيق المسارات الفردية للشبان الذين يعيشون داخلها مما يجعلهم يشعرون بأنهم مشدودين إلى " أماكن قذرة" تعوزها وسائل النقل و محكومة بالعنف الحضري، و بالسياسة الاعتباطية للبوليس الذي يلعب دور الرقابة الأمنية و الإجتماعية لهذه الفضاءات، و يساهم في وصمها على نحو يعيق " الحراك المجالي" للشبان الموصومين الذين يعيشون فيها، فبعض من المستجوبين الذين تحدثنا إليهم لا يغادرون أماكن سكناهم إلا لماما فهم يعيشون" إنطواءا مجاليا" على الخاص حيث الشعور لديهم بأنهم محميون من عدائية "العالم الخارجي" الذي ينظر إليهم باحتقار، فقط لا يستجيبون بالقدر الكافي للنمطيات الإجتماعية من حيث الملابس، و السلوك و تقاسيم الوجه، و هو ما يجعلهم عرضة للتثبت الدائم و الاعتباطي للهويات من قبل الأمن.

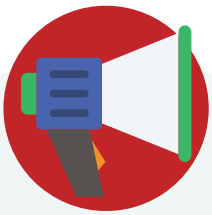

الأمـن يقلقـوا فينـا برشـا برشـا ، حتـى واحـد يشـدوه شـارب إلا منعطـوا فلـوس ..معطيتـوش فلـوس يعديـك عـلى الأقـل 15 يـوم ..الربطيـة الثانيـة معناهـا شـدني عـلى الـشراب ، شـدني في يـدي شراب وواحـد، معناهـا طالـب 150 دينـار ..فعفعـت معـاه ، عـداني معناهـا سـبان رئيـس مركـز و ضرب بالحجـر و أنـا منيـش عاملهـم. عـدوني بثلاثـة شـهور. حتـى الرئيسـة نحكيلهـا في الحكايـة قتـلي لا إنـت ضربـت الحاكـم، يـا ولـدي قلتلهـا مضربتهومـش، حتـى السـبان راهـم راهـم يسـبوا فيـا و نرمـال قلتلهـم معناهـا.. المهـم "عديت ثلاثة شهور ، عديتهم نهار نهار وروحت

" العربي 28 سنة، حي الكبارية، تونس العاصمة

فأحياءهم تشكل ملجأ وحماية، أين تخلق التضامنات اليومية والحميميات والذكريات المشتركة. فالحي أو الحومة تغدو من منظور المستجوبين " دعامة هوياتية" تتشكل داخلها علاقات وشعور بالإنتماء، وذكريات مشتركة ومجموعات عاطفية بعبارة عالم الإجتماع الفرنسي "ميشال مافيزولي"مثل جماعات الرفقة، وأولاد الحومة وهي المجموعات التي تتشكل في إطارها " الرغبة في المغادرة" والهجرة غير النظامية هي أحد أشكال المغادرة، مغادرة الحومة بماهي رمز لمعيش يتمثله الشبان المرحلون قسريا بوصفه معيشا بائسا وبلا أفق. والرغبة في الخروج من الحومة، والحي نحو أفق قد يكون أفضل هو في النهاية إنعكاس، لرغبة جامعة للهجرة نحو " الهناك" الذي يتيح الفرص ويمنح الاعتراف وفق التمثل الذي يمتلكه الشبان الذي استجوبناهم خلال هذا البحث و" الهناك" من منظور المستجوبين هي " الحياة في أوروبا". لهذا فالعلاقة مع أماكن سكنهم هي علاقة مزدوجة و مفارقية فمن جهة هم مشدودين إليها من حيث هذا دعامة هوياتية و إنغراس مجالي لتاريخ شخصي و ذكريات مشتركة و من ناحية أخرى فهم مدفوعون برغبة الهجرة بحكم واقع يتمثلونه بوصفه صعب و غير محتمل، يغيب فيه الاعتراف و الإحترام و الكرامة الشخصية.

" لحومة صفر ..لا موش الحومة..إلي شادين البلاد صفر..لهنا معندنا شي..نهبط نمشي لرئيس البلدّية شهر منشوفوش واحد يبعثني لفلان و فلان يبعثني لفلان ..علاش نبقى نكسر في راسي

" محمد 37 سنة

" نسكن في الكبارية ..حياتي كاملة لهنا ..الي مقلقني في الحومة برشا جريمة و جهل

" حسام 27 سنة

" أش باش نعمل هذه حومتي نسكن فيها..حومة شعبية عايش فيها من الصغرة ..ماعندي حتى إمكانية باش نمشي نبعد عليها..أكثر حاجة مقلقتي في الحومة ..فيها الفساد برشا ..برشا فساد

" العربي ، 28 سنة ، الكبارية

كنت نسكن في حي إبن خلدون في دار مماتي و مبعد رجعت مع " دارنا للعمران الأعلى ..أمّا منيش راضي على الحومة إلي نسكن فيها"
أسامة " 25 سنة ، العمران الأعلى، تونس العاصمة

أسامة 25 سنة ، العمران الأعلى
تونس العاصمة

عادي أختي حومتنا نظيفة كي نقارنها بحوم أخرى بحثانا ..لباس معناها فمة شوية قلق ساعات .أما لباس

ياسين، 25 سنة ، حي التحرير
"تونس العاصمة

بالطبيعة مفماش حتى مواطن تونسي راضي على البلاصة إلي يسكن فيها

"منور، الرديف ، 26 سنة

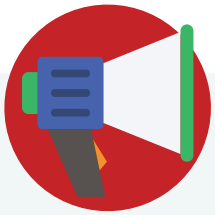

من ناحية تعجبك تعجبك من ناحية القرب لعائلتك لأقاربك و أصحابك أما من ناحية مادية هي حومة شعبية ..ما فيها حتى شيئ حتى تجي تشوف الإنارة و الطرقات العامة ما فيها شيئ ..حتى البنية التحتية صفر معناها (مستهزئا) الناس الكل ساكنة فوق بعضها و أكهو..مذبيا موش نخرج من الحومة ..مذبيا نخرج من البلاد الكلها

" هشام ، 27 سنة، الرديف

تبدو الصورة السلبية التي يحملها أغلب المستجوبين عن أماكن سكنهم هو تعبير عن صورة سلبية عن الذات أيضا، إذ تعمق صورة الحي إحساسهم باللامساواة و الشعور بالدونية أمام الآخرين ، و الآخرون هم " برجوازيو المدينة" المندمجون على نحو كامل في عالمي العمل و الإستهلاك ،حيث يقارب الشبان الذين تحدثنا إليهم العلاقات بين الفئات الإجتماعية ليس بمنطق صراعي و نزاعية، فهم لا يستخدمون مصطلحات تحيل على الصراع الطبقي بل يقاربون العلاقات مع الفئات المترفهة بمنطق المسافة أي أنهم يعبرون بلغة معيارية نستشف من خلالهم كونهم لا يبحثون عن " تحطيم النظام القائم بل هم يريدون المشاركة فيه" أي أن يكونوا مثل الآخرين لهم القدرة و الإمكانية و الفرصة كي يكون لهم " جواز سفر دبلوماسي للحياة" و الحياة المقصود بها هنا هي الإنخراط في قيم مجتمع الإستهلاك و بناء عائلة..إلخ . فالشعور المتواتر لديهم هو أنهم على هامش الحياة ، حياة المجتمع الإستهلاكي، و لكي يفعلوا ذلك ليس لهم من خلاص ، وفق منظورهم الخاص ، سوى الهجرة. و بما أن الهجرة النظامية غير متاحة لهم، تبقى الهجرة غير النظامية و " خرق الحدود خلسة" هو الحل و هو خرق يعكس من منظورهم الخاص شكل من أشكال التحدي و المقاومة و الاحتجاج أيضا. وهو أمر سنتبينه أكثر حين يحدثنا الشبان المرحلون قسريا من إيطاليا عن الدوافع التي جعلتهم يختارون الهجرة غير النظامية و الكيفية التي عاشوا بها كتجربة شخصية و جماعية.

4. مسارات فردية متقطعة

بالمجمل تبدو مسارات المبحوثين مسارات متقطعة فمثلما بينا إنقطع جلهم عن الدراسة على نحو مبكر ، لينحرطوا في عالم العمل الهش بما هو عالم " لاقتصاد الاستمرار في العيش" إضافة إلى البطالة المتكررة و هو ما يجعلهم يشكلون " هوية سلبية " عن ذواتهم و عن محيطهم و هي هوية ترتبط بما يمكن تسميته " بفقدان الواجهة " و تحيل كلمة الواجهة على فكرة النظرة الإيجابية للذات و درجة الإحترام التي يضفيها الآخرون على الفرد و التي تصبح بلا معنى في ظل " تجربة البطالة" و غياب أفق واضح للمستقبل الشخصي ذلك أن الهوية كما يشير ديدييه دومازيير " لا تبني إلا في سياق علائقي". و لهذا يصبح الانخراط في الهجرة غير النظامية هو محاولة و "مقاومة من تحت" لإعادة ترميم الذات، و تشكيل هوية إيجابية من خلال " بناء مستقبل" والمستقبل من منظور المستجوبين، وهو منظور القيم السائدة، يصبح بدرجة أولى تغيير الوضع الإقتصادي إلى الأفضل والإستجابة لتوقعات الآخرين ، و هي رغبة لا يغذيها فقط الواقع الإقتصادي الصعب للمستجوبين، بل تتغذى أيضا من المقارنات التي يخوضها المستجوبين مع من سبقوهم في الهجرة غير النظامية وحققوا " نجاحاتهم الشخصية" سواء عبر الزواج، والعمل و السيارة و المنزل، دون أن يعني هذاأن العوامل الإقتصادية هي المحددة و الدافع الرئيسي للهجرة غير النظامية، بل هنالك عوامل متعددة ومتداخلة لعل ما يبنينها هي التمثلات و التصورات عن " الحلم الأروبي" فمثلما تبنى عن "مجتمعات الجنوب" رؤى و تمثلات و تصورات، فإن الأمر كذلك بالنسبة لدول الشمال أو " الغرب"، إن صحت التسمية، حيث التصور السائد لدى المبحوثين أن فرص العمل متوفرة بشكل أفضل و أن نوعية الحياة جيدة حيث لا وجود للاحتقار و الإستبعاد وهنا لكي نفهم ميكانيزمات الهجرة غير النظامية، علينا أن لا نقتصر على المحددات البنيوية بل علينا أن نقحم الأبعاد الذاتية للفاعلين من خلال الإصغاء لرؤاهم و تصوراتهم و الكيفية التي يتحدثون عن تجربتي خوض الهجرة غير النظامية و الترحيل القسري.

المحور الثاني

طقوس العبور وقصص الطريق نحو لا مبادوزا

I. قبل الرحيل

قرار الهجرة غير النظامية لا يظهر فقط مجرد قرار يتم في لحظة زمنية ما وينفذ مباشرة، إنه مجرد فعل ارتجالي غير عقلاني رغم أن نتائجه غير متوقعة بل هو على العكس من ذلك تماما فهو يتضمن عقلانيته الخاصة التي لا يمكن فهمها إلا من خلال فهم المعنى الذي يضفيه الفاعلون عليه، أي أن عقلانيته مستمدة من عقلانية خاصة بالفاعلين أنفسهم، وبالتالي لا يمكن فهمه إلا باعتباره صيرورة تنجز وتتم في سياق معقد ومتعدد الأبعاد من حيث العوامل ولكن من حيث الفاعلين. يبدو الحارقون وكأنهم هم " "الممثلون الرئيسيون"على "مسرح الهجرة غير النظامية"، وقد يكونون كذلك فعلا، لكنه ما يتناساه " الجمهور" دائما في أي عمل مسرحي هو الكواليس، وما يحدث في الكواليس لا يشاهد عادة وإنما يعاد إكتشافه والعمل السوسيولوجي على نحو ما هو اشتغال على " اكتشاف الكواليس" وهنا نستعيد إرفينغ قوفمان الذي شبه الحياة الإجتماعية بالمسرح والأفراد هم ممثلون ومرتدي أقنعة ولكل مسرح كواليسه. لهذا فالحرقة هي تجربة ومسرحة لمسار معقد، يبدأ من فكرة خوض التجربة إلى البحث عن الخيط، أي الوسيط الذي سينظم العملية، وهو بمثابة المخرج في النهاية، الذي عليه أن ينسق بين فاعلين لهم أدوار متعددة بدءا من المرشحين لخوض تجربة الحرقة، وصولا إلى تأمين التنسيق والتخفي عن المراقبة الأمنية، والتخفي عن المراقبة الأمنية قد يكون بضمان غطاء أمني، واختيار مكان " التقوين" (أي مكان انتظار إنطلاق المركب). فالحرقة ليست فعلا فرديا، بل هي أساسا فعل جماعي يمر بمراحل متعددة، وكل مرحلة لها معاييرها. لهذا يجب التفكير في الهجرة غير النظامية من زاوية سوسيولوجيا الصيرورات، مما يساعد على معارضة الخطابات التبسيطية التي تعج بها وسائل الإعلام والتي تطرحها غالبا وفق منطق تحميل المسؤولية للضحايا، خاصة في حالة الغرق، وهي خطابات تهدف في الغالب إلى إستبعاد الديناميكيات التي تدفع بالعديد من الشبان لخيار الهجرة غير النظامية.

1. لماذا قرروا الحرقة وكيف فكروا فيها؟

ليس ثمة وقت معين للتفكير لخوض تجربة الهجرة غير النظامية لكن المسألة تصبح جدية حين يصبح تمثل الواقع الذي عاشه المستجوبون بوصفه واقعا صعبا من الناحية الإقتصادية، على المستوى الفردي أساسا، و أن إمكانات تغييره صعبة في تونس بحكم غياب فرص العمل حيث يصبح خوض تجربة الحرقة بمثابة الأمل و"الطريق الأفضل" رغم " الوعي بالمخاطرة". والمخاطرة لا تثير الخوف بل هي، في منظور المستجوبين جزء من التجربة، يبرر غالبية المستجوبين " قرار الحرقة" بالظروف الإقتصادية الصعبة، وخاصة بعد الثورة التي يرون أنها لم تحقق لهم أمالهم. جل المستجوبين قالوا بأنهم شاركوا في أحداث الثورة وهو الإنخراط الوحيد لهم في الشأن العام بعد ذلك لم تعد لهم أي "رابطة سياسة أو مدنية" مع الشأن العام، حيث لا نجد من بينهم من انخرط في جمعية أو مارس نشاط سياسي في الأحزاب. فهم يتموقعون ضمن " قطيعة سياسية" للشأن العام بالمعنى التنظيمي، والحرقة هي "تعبيرة سياسية" على نحو عن هذه القطيعة و محاولة "للاحتجاج" و لكن محاولة للهروب أيضا من واقع يتمثل من قبلهم بكونه غير محتمل و دون أفق.

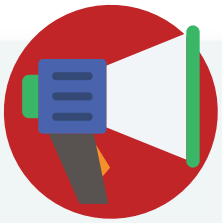

قبل مكنتش نخمم في الحرقة كان الخارج في بالي من عمري 16 سنة من الي بديت نعرف الدنيا و نفهم . 16 سنا بدات فكرة الخارج تتحرك في مخي أكاهو مكنتش نخمم صحيح في الأول في حرقة و إلا حاجة . كنت نقرا. كنت قاد روحي في القراية . معناها لعمر 16 سنا ديما معدل باهي..." ثم يضيف هشام متحدثا عن العوائق التي إعترضته للهجرة بطريقة قانونية " تي باش نقول فيزا و مبعد نحرقها الفيزا و كي نجي نشوف نلقاها مثال فمة ناس ألي تتوسط في الفيزا معروفة. يجي يتوسطلك يقلك تعطيني 6 و إلا 7 ملاين . في الةقت هذاكا كان ثمة فيزا ب 3 ملاين و نص. تخرج تلميذ و إلا طالب. مشيت كلمت السيد قالي 3 ملاين. الوقت هذاكا حال الدار مزرية .معناها نقلك مزرية بأتم معنى الكلمة. معناها الوالد يخدم في المرمة و عندي خويا وقتها مريض بالقلب و خيوتي و خويا لوخر بطال. معناها حكيت مع الوالد قتلو راي الحكاية هكا راهو الواحد باش يخرج لازمو 3 ملاين قلي معنديش . هذي في 2006 ..في بالي في 2006 وقتها ثلاثة ملاين و نصف عندها قيمة ..ملقيت حتى شكون باش يسلفني . قعدت هكاكة و لكن حطيتها في بالي الخرجة ..و مبعد جات حكايات أخري نهاي 7 ملاين ، هاي 8 ملاين و ديما نفس الحكاية ..تلقى الحكاية فارغة عملت مطلب فيزا في 2012 وقتها باش نمشي على أساس زيارة لوحدة نعرفها ، حكيت أنا وياها ، قتها جات هي لهنا لتونس باش نمشي زيارة بحثاها. أدفعت مطلب و قتها أنا طالب في الفاك . قالولي جيبيلنا ما يثبت إلى إنت باش ترجع لتونس ..مفهمتش شنوة معناها جيب ما يثبت. أنا جبتلك الأوراق كاملة إلي طالبينها في الموقع متاعك و قتها كي دفعت مطلب مقالوليش أوراقك ناقصة و إلا حاجة ..أي فديت منها الحكاية حتى البسبور قعد عندهم عامين في السفارة و مبعد مشيت جبدت باسبوري. لكن قعدت إنلم في شوية فلوس و لكن لقيت فرضة متاع حرقة مكنتش نخمم فيها الحرقة. نلقى جماعة أصحابي وقتها وصلوا معنا و ريقلوا أمورهم سيبوهم في " لمبادوزا" مشوا لفرنسا ، اي أكهو شفت على خيط حرقة مع جماعة أكهو مشيت دفعت لفلوس ، هذه معناها توة عندي خويا يخدم في شركة البيئة و الغراسة خذا قرض .خذا في بالي خمسة ملاين و الحرقة تكلفت 3 ملاين و 700 معناها إلى يومنا هذا مهياش خالصة

" هشام 27 سنة، الرديف

الحرقة و الله وحدي لا خممت فيها لا حتى شي حبيت نجرب حتى نا نحرق ..قلت لا عودش (ربما) غادي خير من هنا ..هذاكا علاش السبب إلي خلاني حرقت لعل غادي الواحد يعيش خير و إلا يخدم خير هذاكا السبب إلي خلاني حرقت في نهار و ليلة ة برمجت مخي وحدي و مشيت من غدو الحي خلصت حق الحرقة و حدي و تعديت على روحي

أمنور ، الرديف ، 26 سنة

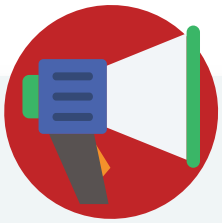

مع الأصحاب معناها كلمة تهزك ، كلمة تجيبك ، و كل مرة كيفاش تلقى روحك بطال و يقلك محسوب إلي قرار قرا و القراية شنوة عندو عمل بيها ..في الحومة أوكا أستاذ مسكين عندو 40 سنا لتوة مخدم ..بش يخدم ياخذ 500 دينار ..معناها زايد..قلنا أحنا علاش منعملوش تجربة و حتى أنا كيفهم ..خاصة الفترة لخرى مشات بالباهي الحرقة ..عباد إلي تسمعو حرق و صل وصل وصل ن قلت خلي نجرب حضي : احكيلي على تجربتك؟ و الله أنا كيفاش تشجعت ..أنا عندي زوز صحابي قراقنية من العطايا حامد ز أحمد ديما يجيوا بحثايا للقهوة نفذلكوا و نلعبوا رامي مع بعضنا ..هذا حامد يخدم في ديوان الحبوب ..هو مش مترسم أما يخدم في ديوان الحبوب ..يقعدوا هاك 3 وإلا 4 سنين يخدموا مبعدين يرسموهم ..هو يخدم في البسكولة غادي ..مشيت مرة بحثاه غادي لقرقنة و هو بكلمتوا غادي ويقدروه و هوما معحلاهم في الجزيرة يحبوا بعضهم برشا..جات الفكرة أكهو قلي أنا باش نحرق و كان عندك فلوس احرق معايا..قتلوا باهي و معطيتها حتى أهمية الحكاية نستخايلوا يفدلك خاطر أحنا ديما نفذلكوا مع بعضنا و نلعبوا...مبعد مكملت السرفيس (أحمد كان يخدم في قهوة) كلمتو قتلو يخي تحكي بلحق و إلا تفذلك ؟

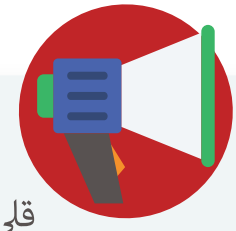

قلي و الله بلحق ..قتلو باهي إيجا نعملوا قهو قلي باهي .. مشينا عملنا قهوة..مشيت كان أنا وياه خوه مجاش ..قتلوا كيفاش قلي أنا راني باش نحرق من العطايا و معايا شكون ..راني باش نحرق بلاش ..قتلو كيفاش بلاش . قلي إلي باش نحرق معاه نعرفو هو ولد حومة و كيما نقولو هو هو يحرق 10 من تونس و إلا من باجة أوك يزلق واحد " جوك" (مستعارة من لعبة الورق) . كيما نقولو هو الريس قرقني يهز واحد قرقني معاه يبدل هو وياه في السياقة على خاطر الموطور ديما يمشي ميركحش معندوش وقت ياقف فيه ..صاحبي هذا هو مزال يحكيلي معطيتوش أهمية على خاطر يخدم في ديوان الحبوب و مقليش إلي هو موش مترسم كان غدوة ..روحت للدار من غدوة عاودنا عملنا قهوة ..دا قلي أيا شعملت يا سخطة بلغة أخرى ..قتلو يا ولدي مزلت تحكي بالرسمي قلي و الله ماشي و راني غدوة ماشي متع القهوة patronأيا سيدي من غدوة مشيت لل..sur قلي sur لقرقنة. قتلو ..قتلوا راني غدوة منيش جاي نخدم و كيف نجي توة نعوض الخدمة ..لطلعنا لقرقنة هو عندو موتور ..وصلنا للعطايا .منكذبش عليك معملنا شي ovetto على هاكي ..رمينا الموتور في دار خالتوا في العطايا و مشينا للبرط كعبة كعبة على ساقينا موش بعيدة برشا..محبش يهز الموتور ديجا. منين جبت فلوس الحرقة؟ مازلت هنا و أنا معاه مخي 50 50- ..مازلت نخمم نمشي و غلا منمشيش و الفلوس توة مبعد نحكيلك كيفاش جات ..نكملك عاد : كهو قعدنا غادي في البرط أنا راني فديت و تعرف شقتلو: قتلوا يا ولدي راك مترسم في ديوان الحبوب و كذا ، قلي و الله لا ني مترسم محبوش يرسموني و عندي عامين نخدم و كذا ..قلي كيما شهريتي كيما شهريتك..أنا ناخو في 20 دينا النهار هاذ 600 ألف في الشهر ..هاو كيف كيف و منرتاحش .حتى نهارت الأحد نخدم ..القهوة متسكرش ماك تعرف ..أكهو كبشتلوا على الحرقة ..قتلو عندك فلوس باش تحرق ..قلي أنا باش نتصرف في الفلوس ، قتلو كيفاش ، قلي عندي الموطور باش نبيعها، قتلو باهي بيع .هو الموطور واخذها بمليون سبعميا و باعها بمليون معناها بالخسارة ..باعها خاسر فيها ..هو صحيح إستعملها أما خاسر فيها و هو زادة عندو مليون آخر . هذم زوز ملاين ..قتلوا يا حمادي كيفاش تى أنا ، قلي أنا نعرف لولاد الكل لهنا و نكلمهملك و كانك ماكش

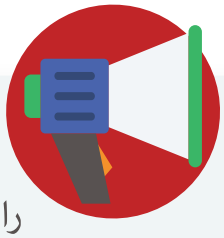

راجع أقعد بحذايا..قعدت بحثاه ..قعدت بحثاه غاديكا في قرقنة ..جاء خوه الكبير هذا إسموا أحمد ..قلوا يا أحمد راني باش نحرق أنا و محمد و نحب نسلم عليك ..مشينا قعدنا بحثا واحد إسموا ياسين معروف غادي فيي العطايا ..قعدنا في المنتزه غادي ن عملنا طاولة و 4 من الناس نحكيوا على الحرقة ياخي غدوة قالولنا غدوة فمة خرجة ..أما رانا باش نهزو كان حامد ، إنت منعرفكش و قالهالي في وجهي معناها..و أنا كي قالهالي بصراحة بيني و بين روحي فرحت على خاطر معنديش فلوس أنا في وقتها منيش مستعد وقتها مزلت متردد و حامد مكبشتلوا برشا..قلت لحامد برا إمشي على روحك ..تلفتلوا الطفل هذا اللي باش يحرقوا قلوا أما باش نذز معاك فازة منيش باش نحسبلك كيما الأولاد يخرجو بزوز ملاين نص و 3 ملاين ..قلو كيفاش ؟ قلو برة أمشي جيب السبيسة و الإيسونس و السماح ..طرف حليب ماء و شكوطوم ماء و حليب و شكوطوم- هو ديما ياخو حلوة باش يشدو رواحهم ..حصليوا متكلفتش 500 ألف و هو قتاه باع المطور .و هو يتسمى حارق من غير فلوس ، قتلو يا حامد كيفاش أنت توة يتسمى قعدلك مليون و نصف ..ياخي مدلي 500 ألف و هو ميلوجش جملة..قعدلو مليون ، مد منهم لخوه 200 ألف و لخرين حرق بيهم ..أنا روحت ب 500 ألف أنا وخوه أحمد و هذا ياسين ، ياخي أنا قعد انقرز على \احمد قتلو مداموا صاحبك و تعرفوا كلموا با خي قلي توة إنعوضهالك إن شاء الله توة نفرح بيك ..ووقت قلوا توة نفرح بيك و اللهي متوقعتش منو باش يكلمني أصلا حتى 3 بالمئة مكنتش متوقعها خاطر هذه توة نفرح بيك متع زكمني تحسها تبحيرة ..كهو روحنا أنا و أحمد على اللود متاع السبعة متاع العشية ..بتت هاكي الليلة في دارنا ..الصباح ممشيتش نخدم قعدت متشنج و متوتر ..حتى كان نمشي نخدم مخي موش فوقي ، حتى واحد يقلي جيبلي دبوزة ماء و إلا كابيسان مش باش نضحك مع الكليون ، دار كيفاش ..مازلت هاك المفجوع ..زعمة نمشي و لا ..و لتوة موصل حامد أنا محبيتش نتشجع ..كهو ..من غدوة ممشيتش نخدم زادة ..حليت تاليفوني ..الثالث يوم يكلمني حامد في الليل يقلي راني زصلت لسيسيلسا..قلي راني وصلت و جوي باهي و الحمد لله و كذا و سأل عليا و قلي محمد شعمل. بالطبيعة عاطيني 500 ألف أما مقالش ..معناها .. كانت مشكلتي فلوس و ساييه معناها

" محمد، 27 سنة ، صفاقس

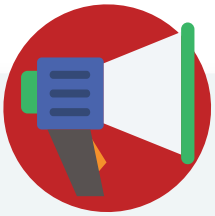

اخاطر نشوف في العباد تمشي و توصل ديما ..يبقى بحثايا و من يومة غدوة نسمع بيه مشى . يبدا قاعد بحثايا في الليل من غدوة نسمع بيه حرق خاطر خاطر أحنا ماو كي يمشي يمشي في السكريتو يمشي ديراكت ..برة خويا ربي معاك..وصحابي كانو يشجعوني معناها إيجا معانا، وواحد أنا وقتها الضروف معناها متسمحش ، معنديش فلوس كتنت ب 3 ملايين و ب 4 ملاين وقتها. اللولانية اللي شدوني فيها دبرت زوز ملاين ..دبرتهم معايا أمي و شدوني فيها ، معناها حتى الحراق ما رجعليش، مشاو مشاو ..معناها من صفاقس و صلنا وقتها في الثورة

"العربي ، الكبارية، تونس العاصمة

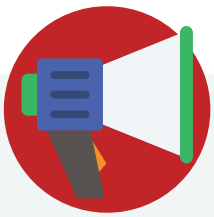

أنا نسكن غادي في سيدي منصور ..أنا 29 سنة معناها مخممتش فيه الموضوع متاع الحرقة جملة ، بعد ساييه معادش ما عاد فمة حتى شي ..بديت نخمم فيه الموضوع ..جات فترة غادي في سيدي منصور نقعد غادي ..ماني أنا ديما في البلاد ، قعدت جمعة و إلا 10 أيام في سيدي منصور ديما غادي غادي ..نقعد معناها على الشط نشربوا على الشط ..عاد نراوهم على عينينا كيفاش يخرجوا نراو فيهم ..أكهو قاعد منهم مرة أنا وزوز صحابي نلقا شكون خارج بالعباد نعرفوا بالباهي ..معناها قاري أنا وياه و أحنا صغار ..قتلو كيفاش كيفاش راني نحب نمشي قلي : مريقل ..طلعت على روحي قصدنا ربي ، مشينا حكاية كيما نقولوت ربع ساعة و عاودنا رجعنا

"فريد ، 30 سنة ، صفاقس

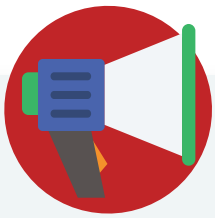

اعنا واحد من الحومة عندو واحد يقربلوا في صفاقس في سيدي منصور هذا إلي نسقلنا و أنا تشجعت وماكنتش فيبالي جملة الحرقة أما ريت ولاد حومتي 30 واحد يخي تشجعت. قلت خليني نجرب، خليني نشوف شنيا. 28 يزم في صفاقس ..خرجنا الخرجة الأولى عملنا ساعتين في الماء و الشقف ولا يدخل في الماء تفجعنا خويا مناش فاهمين شي .عاودنا رجعنا أكاكا ..باعد 13 يوم أخرين عاودنا حرقنا و صلنا

"فريد ، 30 سنة ، صفاقس

يظهر من خلال هذه الشهادات أن قرار الحرقة يتم خارج المؤسسات الرسمية (العائلة و المدرسة و الدولة) بل في أطر ثانوية تفلت من الرقابة المؤسساتية و هي أطر لاشكلية مثل جماعة الرفاق و أولاد الحومة حيث تنسج العلاقات في الحياة اليومية التي تتشكل في خضمها مشاعر اليأس و البحث عن مخرج و تتشكل لغة مخصوصة و أحلام مشتركة و التي يحركها دافع أن نخوض التجربة مثلما خاضها آخرون علنا ننجح مثلهم. لهذا كي نفهم ديناميكيات الهجرة غير النظامية لا بد من التفكير من زاوية الحياة اليومية " لشباب الهامش" والمقصود بالهامش هنا كل ما يقع خارج المعايير والقيم والتمثلات التي تفرض من قبل «النخب المهيمنة". و تشكل العلاقات اليومية التي تنسج في الحياة اليومية للشبان الذين إستجوبناهم وفق منطق شبكي مما يعني أنهم مندمجون و لكن إندماجهم هو " إندماج في الهامش" مشكلين ثقافتهم و لغتهم المخصوصة و هذا يعني أن الحرقة هي جزء من ثقافتهم و معاييرها و قيمها و آلياتها تتشكل في خضم الهامش لهذا لكي تكون " حراقا" لابد من الحد الأدنى من الإنخراط و الإندراج في مجموعة إنتماء (الأصدقاء ، أولاد الحومة، مجموعات صداقة إفتراضية) ، فمجموعات الإنتماء بقدر ما توفر الحماية و تشجع على الذهاب بعيدا في قرار الهجرة غير النظامية فإنها أيضا تتيح المعلومة فيما يتعلق بأوقات تنظيم الهجرة غير النظامية و نقاط الإنطلاق و المعلومات عن الوصول و كيفية التصرف و التعامل كما تضمن إمكانية التواصل مع الوسطاء الذي ينظمون عمليات " الحرقة" و الوسطاء بلغة الحراقة يسمون " الخيط" و الخيط يحيل إلى " الرابط" وبين نقاط متعددة و الشبكة تحتاج دائما إلى رابط للربط بين عقد و نواتات متعددة و هو ما يفعله الوسطاء بخصوص تنظيم الحرقة و هم " فاعلون رئيسيون" في الهجرة غير النظامية فهم من يقومون بالتنسيق الكامل و ربط الصلة و تسلم الأموال و ضمان الحماية من الرقابة الأمنية، أي أنهم هم من يهرون على إنجاح العملية قبل المغادرة.

2. بدأنا نبحث عن خيط للحرقة: التقوين وقصص انتظار الإبحار.

الوسطاء أو " الخيط " بلغة الحراقة هم جزء من " اقتصاديات الهجرة غير النظامية" بوصفها اقتصاديات لانظامية لكن الحديث عن " اقتصاديات الهجرة غير النظامية" لا يعني أننا إزاء شبكات معولمة و عابرة للبلدان على غرار " المافيا العالمية" بل نحن إزاء شبكات بدائية أو حرفية (artisanal(مكونة فقط من بضع أفراد اكتسبوا معرفة بعالم " الحرقة"، ويكون أغلبهم بحارة صغار سابقون، أو أشخاص تربطهم علاقات جيدة مع السلطات الأمنية و المرور بالوسطاء هو مرحلة رئيسية لابد منها في عملية الهجرة غير النظامية ، فهم من يختارون " أماكن التقوين" الانتظار ويحددون موعد الرحلة ومن يتسلمون الأموال و هم من يحددون التسعيرة، التسعيرة تحدد في سوق الحرقة، وفق الضمانات و نسبة المخاطر والأمل في إمكانية الوصول. ما يبحث عنه الحارقون هو نجاح الحرقة والوصول إلى لمبادوزا دون أن يعني هذا الحارقون لا يعون أن الهجرة غير النظامية هي مغامرة، وأن إمكانية الموت في البحر هي أمر محتمل ولهذا فهم يتحدثون عن التجربة " بفخر مبطن" لأنهم وصلوا إلى تخوم الموت وهذا ما جعل " من حياتهم قصة". فما تبينه لنا المقابلات التي أجريناها، أنه رغم فشل " المشروع الهجروي" الذي إنتهى بالترحيل فإن الحديث عنه يتم استرجاعه بوصفه قصة شخصية، و ما يرغب فيه هؤلاء الشبان هو أن تكون لهم قصص، حتى و إن كانت فاشلة، فالصراع الشخصي الذي يخوضونه هو صراع من أجل تحقيق الاعتراف الذاتي، و الاعتراف قد يكونوا من منظورهم الشخصي " خلق قصة شخصية".

بعد الحصول على "الخيط" ودفع ثمن الحرقة، والتي يصل ثمنها بين ألفين وأربعة ألاف دينار تأتي مرحلة " التقوين" و "التقوين" هو المرحلة التي تسبق الإبحار. عملية التقوين تكون بلغة البحارة في مكان يسمى " قونة" و هو مكان يختاره منظمو الرحلة، و يكون قريبا من مكان الإنطلاق إلى لمبادوزا و يتمثل في منازل مهجورة أو منزل يقع كراءه من قبل منظمي الرحلة و الذين ينسقون بشكل جيد، على نحو يجعله بعيد عن الرقابة الأمنية. يتجمع المرشحون للرحلة في " القونة" و ينتظرون قرار المغادرة و هو قرار يخضع لسلطة المنظمين و تختلف مدة الانتظار بحسب عدة معطيات تتدخل فيها حالة الطقس و المعطيات الأمنية و لكن مرحلة التقوين يعفى منها غالب الذين يقطنون في مكان الإنطلاق فأن يكون المرشح للرحلة مثلا يقيم في صفاقس فهو ليس مطالب " بالتقوين" حيث يتم الإتصال به من قبل الوسيط و منظمي الرحلة و إعلامه بالقدوم لأن الرحلة ستنطلق.

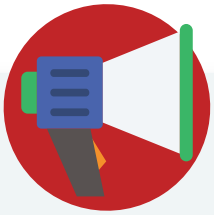

خرجنا من هنا مشيت خلصت السيد إلي بش يخرجنا...هذا الوسيط خلصناه قالنا مع الساعتين متاع القايلة تجي كرهبة تمشي أنت وفلان و فلان .قتلوا باهي. خلصتو مشيت حضرت كابايا (حقيبتي) و حجمت و ريقلت أموري و قعدت نستنى للساعتين كي كلمتوا قلي أخرج للكياس البرا..خرجت نلقى الكرهبة حاضرة..ركبت و تعدينا الحاصيلوا فطرنا في الدار ..تعشينا في صفاقس دخلنا للقونة حكاية العشرة متاع الليل بلاصة زيتون و هندي في طريق المطار ..الدنيا ضلام . متشوف حتى شيء ..دخلونا للقونة نلقوا جماعة الرديف لكل غاديكا قعدنا معاهم ثلاثة أيام و العباد الكل تجي من الرديف أكثر بلاصة من الرديف ..معانا زوز من تونس كيف شافوا جماعة الرديف كثروا كثروا خافوا هربوا ..ظروف القونة مزرية . يطيشوك في جامع مصبوب و أكهو مطيشين على الحجر ..لا فرشات لا حتى شيء الماكلة و الدخان كان كي تثور عركة باش يجيبولنا كعبة ياغرت و إلا كعبة براك

"منور، 26 سنة، الرديف

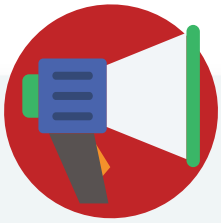

اول مرة حرقت أي أول مرة ..الدار قلتلهم ..منجمش نعمل حاجة من غير منقلهم ..جا يمكن شكون عارض واحد ..أقنعتوا و كي شافو معناها برشا جماعة وصلوا ولباس و..كلام هاو شقف كبير ..أقنعتهم بالذراع ..الحرقة كانت من صفاقس سيدي منصور ..القونة قعدت 4 أيام ..ماهيش قونة باش نحكوا عليها ..تتسمى قاعد في الشارع ..في بالي قونة معناها كالديار لكل معناها. صحيح ماناش بش نقعدوا في فيلا و إلا حاجة ثم (على الأقل) فيها مواصفات متاع دار ..على الأقل فمة تواليت. مشيت نلقى روحي قاعد في مدجنة قديمة (يصمت قليلا) مافيها حتى حاجة معناها ..تمشي تقعد على الصطاكة لوطة ..ثمة يمكن الي جاب ..أنا كنت من المحضوضين إلي وصلو اللولا ..نتسمى محضوظ و منيش محضوظ ..وصلت من أول العباد للقونة ..نلقى بلاصة مفرشين فيها فرض تحت لوطا ..لكنو فرش رقيق ..إتكيت ..قعدت فيها نا و جماعة و الجماعة إلي جو بعدنا الكل ..قعدو أكاكا على التراب .لا ثمة حتى شيء ..بالنسبة للماكلة ما ثماش ماكلة عبارة ماثماش ..النهار اللول مشا يجيبلنا مبعد تراجع قال هات الفلوس توة نجيبلكم. خويا قداش ؟ . هات خمسة ألاف باش يجيبلي صندويتش باهي ..معناها بالهريسة ..قتلوا متجيبليش سندويتش ماهوش حار ..ما نوكلش الحار قالي باهي كي جا جابلنا الخبز ..وجابلنا حكة هريسة كبيرة و حكة تن ..شنوا هذا قال هذا الموجود ..تعطيه فلوس الدخان ..جيبلي دخان يا خويا ..يمشي يجبلك مثال ..إعطوه كل واحد مثال عطاه حق باكو دخان أو إلا زوز ثما شكون يوصي على أستيكا دخان ..يمشي يجيبلك باكوات يحطها ثم و يخليها و يفصع و يخلي ناس تتعارك في بعضها ..هذاكا أنا وصيت على مارس ..هذاكا وصيت على بزنس و تركح البونية ..لا ليلة لاثنين حتاش معناها تواصل على المنوال هذا لا ماكلة . حتى الماء بصفة قليلة. الليلة لولا الليلة الثانية ..أكهو فاقوا بينا الجيران ..الجماعة المقونين خافوا ..هزونا حولونا لبلاصة أخرى ..في الليل معناها في الليل (واصفا المشهد) إجري و تبطح أطلع في الزيتون أو منعرفش شنوا ضو كرهبة ..هاو حاكم ..حاصيلوا لين وصلنا للبلاصة أخرى. البلاصة إلي كنا فيها الأولى تعتبر جنة

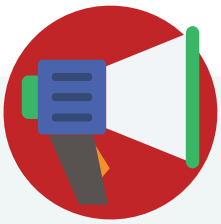

خاطر مصكرة على الأقل. هزونا لجامع في طور البناء ..معناها جامع مزالوا يبنوا فيه ..مصبوب من فوق و ثمة بلاصت القبة .حكاية الديماتر متاعها ستة ميتروا ..محلولة وشبابيك محلولين ..وقتها الدنيا باردة في الليل . اما في النهار سخونة أما في الليل يبرد الطقس. منخرجوش جملة .قتلك الشبابيك محلولين في الليل ..تبرد .تبرد معناها و تخيل إنت الواحد معناها موش جايب معاه حتى شي لا فرشات و زيد الجامع بكلو ردم حجر و تراب ووسخ متلقاش بلاصة مبسوطة حتى باش ترقد فيها ..بالنسبة للتوليت إتصرف شوف اتكى تحت حيط ..المهم ما ثمة حتى شيء (يصمت)..هو الواحد حتى جامع يخاف ربي ..ساعات يخمم فيها ..حتى مرة في النهار .أي يقول الواحد يمشي معناها مثلا تحت حيط جامع أي ميحبش الواحد أكهو ..أكهو قعدنا يخي زادت قامت حربة ..وقتها قالولنا الليلة باش تخرجو مخرجناش . ثمة شكون قال نروح و برشا عرك و بونية معناها خمجت خمجة خايبة ..الليلة أذيكا ستر ربي ..معناها القونة .الناس الكل ولاد بلاد يمكن يطيشوا رواحهم و بعضهم من الطاج الفوقاني نحنا في الطاق الأول قاعدين و مفماش لا براج لا شي ..الصبة و أكهو معناها كان جت مخلطة ..ناس مخلطة ..معناها يمكن يطيشوا بعضهم (يصمت قليلا) القونة ما فيها ما يعجب

" هشام 27 سنة، الرديف

هبطنا الأربعة متاع الصباح للمحطة متاع الرديف القوافل ثمة واحد صحيبنا شافنا بالسيكان و وقتها كان وقت حرقة ..الناس الكل تعرف..قلنا شنوة شباب باش تحرقوا ..قلنالوا أي باش نحرقوا قلنا ردوا بالكم تمشوا في المواصلات العمومية خاطر الحاكم وكذا ..يخي إقترح على صاحبي قلوا نمشيوا في اللواج ..قلت لا مداموا هو ..قال خلي نمشو نحنا في الكار ..هزينا الكار أكهو وصلنا لصفاقس ..حكاية العشرة الأحداش هكة و ماعناش حتى أدنى فكرة وين بشا نمشيوا بالضبط ..قعدنا ندورو في صفاقس ..كل مرة نقعدو في قهوة ..القهوة وقتها الدنيا سخونة شوي و أحنا عاملين إجراءاتنا للبحر وواحد و كذا و كنا لابسين لبستنا..متاع شتاء ، حتى العباد لاحظت ووجوهنا جدد بالنسبة للحومة هذيكا ..ينجموا يطلعونا و عرفونا مناش ولاد المنطقة هذيكا يخي نحنا حبينا نتخبوا شوي و كل مرة ولينا نمشوا للقهوة للرستوران لين حكاية الأربعة متاع العشية قاعدين في جردة ..الطفل صاحبي كلم السيد هذا قلوا وينك توة راني موجود في صفاقس ..قلو لحظة توة نجيك ..جانا السيد بعيد علينا حكاية عشرة ميترو أكاكا قاللنا ياخي إنتم جماعة الرديف ..قلنالو أي ..قاللنا لحضة توة يجي تاكسي تطلعوا فيها و يديماروا متعملوا حتى حركة و متعملوا حتى شي ..جت التاكسي ..طلعنا تعدينا على مركز حرس ..تلفتلي الشوفير قلي ممتتلفتش للمركز..قلي اعمل روحك إنسان عادي كإنك راكب عادي ..قتلوا باهي و تعدينا ..و الملفت لهنا و الملفت لهنا أنو بعدنا نحنا جاو ما يقارب خمسطاش قروب ..وكل قروب ما يقارب 3 من الناس أربعة من الناس و هذا ما يدل إنهم تعدوا من نفس الطريق ..معناها التاكسي تعدا بيهم من نفس الطريق لأنو فمة طريق واحد يعدي للقونة ..هذي هنا تبقى مستغرب .تقول كيفاش : معناها دخلنا للقونة جانا السيد هذا اللي حملوه مسؤوليتنا ..في القونة قلك أول حاجة لازم الحس مفماش ..القونة مدجنة مهجورة حتى التولات حاشاك مفيهاش ..جابو باش و عملوا تركينة و هانو إلي يحب يقضي حاجتوا ..يمشي على روحو..بالنسبة للماكلة أسيدي منكلوش نصف خبزة ..معناها يجي هو يقول كل واحد يعطيني عشرة ألاف

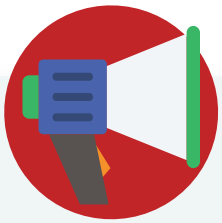

وإلا كذا نلموا بعضنا و خاصة نحن في الوقت هذاكا لكلنا من الرديف . الكل حطونا الكل مع بعضنا و نعرفو بعضنا ..الناس الكل نعملوا فرقية ..كل واحد خمسة ألاف عشرة ألاف نجيبوا ماكلة ..لكن توقع فيها برشا حسابات ..أنت لو كان نا نعطي عشرة ألاف ..السيد هذاكا عطا دينار ..معناها مهوش من العدل إنا نتقاسموا نفس القسمة ..ماهيش عادلة..الحقية صارت شوية إشكالات موش شوية الحقية لين تقلق السيد إلي يحرص فينا قال إذا مكمش باش تسكتوا ..باش نضطر نحلها القونة ..معناها تمشوا تروحوا ..في اللحظات هذيكا و الخطأ منهم هوما لأنوا إذا كان تلم تسعين بشر من نفس الحومة و تحطهم مع بعضهم أكيد باش تصير حكاية ..أكهو بعد الأحداش متاع الليل ..لعباد مفهمتش الكلام ..تتكيف الناس الكل ..حتى ريحة متاع الدخان تطلع ..و الناس الكل تتكلم مع بعضها و صوت الليل سماع ..جانا السيد كلم الرايس..فما فرق مابين الرياس ..الرايس هذا الكبير. معناها محروق عند الحاكم ..حتى كي يخرج بكرهبتوا معروف. في اللحظة هذيكا هو جا و راكة الكرهبة بحثا القونة ..يخي حشاك فما واحد براد (أي واشي) شافو عرف الحكاية لكل ..جاء السيد إلي يحرس فينا معناها و هو أصلا شاف البراد ..هذاكا بقى يلاحظ معناها عرف إنو باش يدكلاري علينا للحاكم و مبعد نص و إلا ساعة لمينا بعضنا النسا الكل و خرجنا من القونة و بالحق بعد مخرجنا بعد العشاء بالضبط دك عليها الحاكم القونة هذيكا و هي فارغة مشينا لقونة أخرى في جامع مهجور ..حزلنا للقونة الثانية و صارت برشا مشاكل ..بارشا مشاكل خاصة في موضوع الماء و الماكلة ..نا واحد من الناس عندي فلوس قدمتها الكل عطيتها و مانكولش في الماكلة مش خوف و إلا طمع ..توا متنجمش توا أصحاب متنجمش ..توة نحنا من البلاد نولي نضحي بيك ..القونة الأولى قعدنا فيها نهار و إلا نهار و نصف و القونة الثنانية في النهار الثاني ..حصيلوا مبناتهم الزوز أربعة أيام

" بلال ، 29 سنة ، الرديف

تظهر " القونة" من خلال المستجوبين ليس فقط مجرد " مكان للانتظار" بل هي أشبه بمنطقة عبور تشكل جزءا من تتابع الحدود في مسار الهجرة غير النظامية المعقد. تبدو فكرة الحدود بمعناها الرمزي والمادي أساسية لفهم الهجرة غير النظامية كتجربة إجتماعية من الداخل،وكذلك من منظور الفاعلين أنفسهم. الحدود عادة ما تخرق ويجب تجاوزها. "القونة" كمكان للانتظار هي حد قد تعيق الرحلة إذا ما طالت ولم يتم أخذ الاحتياطات بالشكل الكافي والضروري،خاصة فيم يتعلق بالناحية الأمنية حيث من الممكن أن تتحول " القونة إلى " منطقة عبور غير آمنة".ولكن من ناحية أخرى هي مكان التضامنات بين مجموعات الحارقين حيت يتم إحياء التضامنا المجالية (أولاد حومة) والجهوية(ولاد بلاد) ضد ما قد يشكل إعتداء متأتي من مجموعات أخرى. القونة هي مكان ولكنها أيضا " لحظة القلق الأولى" و " لحظة شك ولا يقين". لهذا كل ما تمددت مدة الانتظار ازدادت إمكانات الفشل وهذا أمر يدركه منظمو الهجرة غير النظامية ويدركه الحارقون أيضا لهذا يعمل "حارس القونة" على ضبط " مجموعات الحارقين" و" وضع غير نظامي" للمراقبة. القونة هنا تبدو شبيهة بالمآوي التي سيتم فيها "حجز الحارقون" في لمبادوزا وهي مآوي تشكل أيضا نوعا من الحدودية،ومناطق عبور يعتبرها الحارقون جزء من مسار الرحلة، لهذا هم يعدون أنفسهم لها مسبقا عبر التسلح بخبرات من سبقوهم. القونة هي مرحلة وسطى من مراحل مسار الهجرة غير النظامية. لا يعيشها الكل بنفس الطريقة إنها تتحدد " بنوعية الحرقة" وبحسب عدد المشاركين فيها إضافة إلى الظروف الأمنية والمناخية،ولكن أساسا بحسب " حنكة المنظمين". لهذا فمغادرة القونة والإنتقال إلى مرحلة الركوب أو الدخول يظهر كلحظة عاطفية مكثفة وطقس عبور ذات دلالة سوسيولوجية، إنه تجاوز لمحنة أولى. لهذا يظهر الإحساس، مثلما يصفه المستجوبون، وهم يصعدون إلى المركب الذي سيقلهم إلى لمبادوزا مفارقيا حيث يمتزج لديهم إحساس الخوف والفرح.. الأملوالتشاؤموخاصة في اللحظات الأولى.. البعض منهم يتلو الايات القرآنية.. البعض الآخر يتصل بأحد أفراد العائلة كي يعلمه بالمغادرة، خاصة إذا ما علمنا أن ثمن الرحلة لبعض المستجوبين قد تكفلت به عائلاتهم، ذلك أن الهجرة غير النظامية في السنوات الأخيرة قد تحولت إلى " إستثمار عائلي" بفعل عدة معطيات ثقافية وإقتصادية.

المحورالثالث

الإبحاروالليقين وتجربة الوصول

II. الإنطلاق ولحظة المغادرة

3. مشاعر متناقضة

لحظة الإنطلاق تبدو بمثابة اللحظة الفارقة في مسار " الحارقون". إنها لحظة " أمل" و " لحظة" خوف" بعد أن سبقها " لحظات الانتظار" في القونة. هي لحظة مشاعر مكثفة وطقس عبور. مفارقة الأمل والخوف هي الثنائية التي تحكم مشاعر الحارقين. الأمل بكونهم سيصلون إلى أوروبا ويحققون أحلامهم التي غادروا من أجلها ولكن ثمة خوف من فشل " الرحلة " سواءا الغرق أو إعتراض السلطات الأمنية لهم. لكن كل هذا من منظور المستجوبين هو جزء لا يتجزء من " الحرقة" كمغامرة و " خرق" للحدود. فهي تجربة محفوفة بالمخاطر وذهاب نحو الأقصى. يتحدث الشبان المرحلون عن تجربتهم في البحر بوصفها " لعبة تبادل رمزي مع الموت" وفق العبارة المميزة لعالم الإجتماع الفرنسي " دافيد لوبرتون" يقبل هؤلاء بالموت ويصلون إلى تخومه وهو ما يجعل من قصة الحرقة من منظورهم " قصة مقاومة من أجل الحياة" ولكن من أجل نزع الاعتراف. فالصراع الذي يخوضه الحراقة هو صراع من أجل الاعتراف والخروج من " مجتمع الاحتقار" بعبارة أكسيل هونيث حيث تشكل " الحرقة" محاولة لإعادة ترميم " لهويات ذاتية " تستشعر الإستبعاد والإقصاء الإجتماعي. من ناحية أخرى لا يأخذ الحارقون أي احتياطات للنجاة (veste de sauvetage في حالة الغرق فهم يتركون الأمور للصدفة والقدر والحظ الممزوجة أحيانا بلحظات ندم للبعض خاصة في أعماق البحر وحين تتقلب الأحوال الجوية ويصبح الموت داهما ولكن في النهاية المقصد الواحد يضل هو لامبادوزا أو سيسيليا وهي نقاط عبور ومناطق انتظار تشكل تجربة ومرحلة أخرى من مراحل تجربة الهجرة غير النظامية. يتحدث محمد عن تجربة الإنطلاق والرحلة والبحر.

" أكهو ركح الريس الإيصونص متاعوا ..قصدنا ربي حكاية العشرة متاع الليل ..هو بدى يمشي هكاكة عشرة ميترو و أنا قلت يا محمد شنوة عملت و آش تعمل ..معادش فيها رجوع فهمت كيفاش ..معرفتش شنوة نعمل نبكي ..وليت نبكي من غير صوت باش منشلقش ..أما عشتهم نهارين ..على الأول كيف ريتهم طالعين وريت الريس يركح في كل شيء تشجعت ..أما الشقف خدم و بدا يمشي و أنا 200 ألف فلاش ضرب في مخي ..و أنا ضربة ضربتني نسأل في الريس يا ولدي قداش مزللنا ..و هو يبدى على أعصابوا يا ولادي ميسألني حد و ما يحكي معايا ..حد ما نحبوا يتكلم ..و ما نكذبش عليك أوكا الريس هو ولد بحر و الشقف متاعو ..اللوحة متاعو و يدي و يسوق و يقول الله أكبر و أستغفر الله و في الليل بالرغم إلي الطقس مريقل و البحر بانة زيت و يقللنا إستغفروا و قولوا الله أكبر ..زاد فجعني حسيت باش نموتوا ..هذا الواقع إلي شفتوا في الشقف ..أكهو الحمد لله نعمة من عند ربي البحر بانة زيت كي البحر.. كي المياه الإقليمية..معناها مفماش موجة جملة ..يساعد

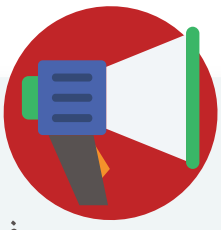

عرفت كيفاش ..هو من غير موجة و مفجوع و الله أكبر و أستغفر الله.. قعدنا أكثر من 36 ساعة ..مشينا على سيسيليا..توة نقلك علاش بطينا ..نكملك ..كي طلع النهار طمنت ، موش معناها وصلت أما طمنت بالمقارنة باللي شفتوا بالليل ..تصور الواحد في الثنية و هو راقد على حافة الشقف ..قلت حتى نتقلبوا نجيوا الكل فوق بعضنا..أما هذم الكل فلاشات نتخيلهم ..أما كي يجي الصحيح متنجمش تعملهم..أكهو تعدى آكا النهار خبز و سردينة و فرماج و كسكروتات ..هو الواحد الشاهية مقطوعة .أما ياكل بالجوع و العصب هات ناكل برك ..باكوات الشكوطوم و الحليب موجودين بكثرة ..هازز كردونة ..وقت إلي أحنا 18 واحد، و كل واحد ياكل ثلاثة باكوات شكوطوم..كهو عدينا نهار كامل هكا و هو بدا الليل يطيح قاللنا رانا قريب نوصلوا لسيسيليا و بش نحطكم وبش نحطكم في الجبل واصلين و أموركم مريقلة

" محمد 25 سنة ، صفاقس

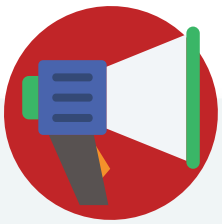

بالنسبة لشعوري نا بالنسبة ليا كإنسان قلتها لصحابي قلتلهم إذا كان جاء الشقف راي " الكارت ميموار متاع مخي) راني إنحيها ..نطيشها و هذا إلي صار و عندك شهود ..زيد معملتش حتى حركة تدل إنو أنا خايف لأنو مصيرك. شوف عندي قناعة إذا كان متت شجاع هو نفس الموت ..إنت باش تموت في كل الحالات..في كل الحالات يا تموت شجاع ..يا تموت خايف و إذا بش إطيح بش تموت و إذا مت جبان إنت ميت على كل حال ..بالنسبة للحلم ..الحلم بالنسبة ليا وقتاش يبدا يتحقق كي تبدا البوادر متاعو موجودة و مرتاح أما مازلت في البحر و منيش عارف و مازال الطريق مجهول باش يرجعوني .باش يعملولي في إيطاليا منيش عارف ..معناها إذا دخلت لفرنسا و قتها إنجم نخمم في الحلم ..أما توة مازال الحلم الوحيد إني نتعدى ا

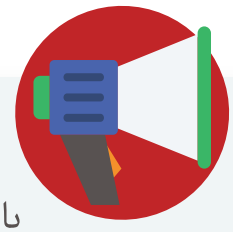

بالنسبة للشقف مازال ماشين يا سيدي أمورنا واضحة (في أوتوروت) (قالها متندرا) وقتها البحار طياب كيف ما يقولوا ..هوما أمورنا واضحة مازلنا نبعدوا على لامبدوزا يجي عشرين ميل هكاكا شفنا جبال و على فكرة ثمة هاك البتوات في المياه الإقليمية متاع إيطاليا ..نورمالمون تلقى طلاين يصيدو يصوروا فينا ..و لوكان جاو هاك الصيادة يقدروا الإنسانية راهم كلموا السكادرة الطليانية راي جات ديراكت ..الرايس ألي مزيدش عمرو خمسة و عشرين سنا و معاه ثلاثة من الناس قال أحنا توة في مناطق الصيد متاع الغزل متاع الشبك ..هذاكا حصل في مقدمة الشقف الراسي ..خاف إذا كان يواصل بطبيعة الحال أكة الغزل متاع الشبكة يشد في المروحة ..يخي سكر الموتور و مشى قص الخيط إلي شاد الشقف و مبعد كيف جاء يديماري في الواحد محبش و على فكرة الشقف قبل ساعتين من المشكلة نشم في ريحة الكابل يتحرق و كلمت صاحبي إلي بحثايا ..قتلوا يا ولدي راني نشم في ريحة بلاستيك ..قلي يا ولدي إستفايل خير و هاك اللوغة هذيكا و بالفعل ظهر هاك البلاستيك متاع الديماريز تحرق ..أكهو حبس الشقف و العباد وجوها تبدلت ..معناها إنسان ماشي للحياة شوي تقلبت (كومبلاتمون) ..مهما تكون شجاعتك لابد إنك تخمم في الموت ..لأنوا ميفصل مبيناتكم سوى لوحة و أكهو..بدت اجواء تتوتر شوي ..حتى الجماعة إلي معانا خافو ..نحنا توة هاني قتلك أربعة و تسعين واحد من الرديف ..خافوا على رواحهم يقلك هاذوما ينجموا يطيشونا في أي لحظة ..لكن نحنا طمناهم ..عطيناهم الأمان ..قلنالهم متخافوش ..بقينا نخمموا كيفاش نشوفوا حل ..هو الشقف فيها كابين و العباد قاعدة فوق الكابين هذيكا ..فمة واحد عندو نوكيا ..حب يحاول يتصل بأي واحد نقولولوا نحنا بصيص أمل ..يخي التليفون خطف ثواني (أبال) و قص ..تكلم السيد هذاكا قال شكون ..زيد عاودو الجماعة الجماعة الكل يجبد تليفونوا و يكلم ..في آخر شي واحد من حومتنا في فرنسا كلموا قالو رانا الجماعة إلي حرقنا من الرديف و رانا توة في البحر و طايحين أومبان .ولد حومتنا منجمش يتصل بالحكومة الطليانية و يقلهم راوا عنا كذا و كذا ..فمة واحد معانا قال راو عندي خويا في البحرية التونسية ..يخي هزينا نومروه ..أعطيناه للجماعة

الفوق (الي في الكابينة الفوق) كلموه ..قالولو رانا الجماعة إلي تابعين خوك وكذا ..شوي هو و إلا الله يعلم هو الي كلم البحرية الطليانية علمهم ..و و هاك الأمور GPS مبعد قاللنا تعطوني المعلومات متاع الج. ب. س هذيكا..عطوه الجماعة و كل شيء و بعد حكاية ساعة أول شي بعثوا طيارة باش يشوفوا ..يخي هوما إلي إتصلوا و إلا جماعة أخرين ..بالرغم فمة شقف آخر و رانا ..نحنا ناش خفنا ..خفنا من الليل إذا يجي الليل تتوتر الأجواء

"بلال ، 26 سنة ، الرديف

كهو قعدنا نستناو نستناو في اللوتسوات هاذوما فلايك صغار يدخلونا عليهم للفلوكة الكبيرة... اخر عباد ركنا في اللوتسو هوما احنا.. أنا و زوز مالناس اخرين.. نستناو في نص الليل حتى لين البحر يركح و دورو الفلوكة... طلعنا الناس الكل جونا باهي.. طلعنا السبيسة ناس الكل مع بعضنا جونا باهي... نص الليل قصدنا ربي... وصلنا نومرو 4.. هذا نومرو 4 سايي كي توصلو تكسر شوية و تكمل القدام تجي على لمبادوزا.. هوما نوامر في البحر يركحوا بيهم الثنية كي الكياس منقمر.. تمشي معاه اتبع النوامر, نمرو 1 نومرو 2... توصل نمرو 4 تهبط ديراكت على لمبدوزا قرط تجي.. اكهو احنا خرجنا على نومرو 4 مشينا شوية و الدنيا دخلت بعضها و تقلبت و الطقس تقلب.. الرايس زاد خوفنا قلنا نرجعوا و نعضوهالكم غدوة و الا وقت يركح الطقس.. العباد محبتش ترجع... عباد مورطة معانا و شادة الحبس و اللي هارب من قضايا.. اعطيهم وقتاش يشدو البحر ويخرجوا مالبلاد... امشي vas y عباد يعلم ربي بأحوالها, حتى واحد ما يحب يرجع فهمت... قالولو لا الدنيا تقلبت و البحر نو... اما مشينا.. قعد الريس يسايس في روحو شوية .. fly امشي vas y شوية , مشينا حكاية ساعتين و الا 3 احنا هكاكة

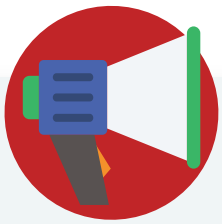

و خرجتلنا الحربية متع بنزرت معناها العسكر.. وقبلها هي ب مدة صارت هاكي الحادثة متع الغرق متع جرجيس و الا وين.. حاصيلو خلطو علينا وكذا و قعدوا يسألو فينا و يحكيو معانا بالبوق يقولولنا ما تخافوش ما تخافوش يطمنو فينا خاطر قلنالهم رانا نعملو كارثة وكذا... قالولنا ما تخافوش قعدوا يسألو فينا etranger قداش من واحد انتم و كلكم توانسة و الا معاكم من بلدان أخرى معناها.. معاكمشي بنات معاكمشي صغار.. برا برا سيبونا قالولنا من هنا الطليان و panne... تبعوا الثنية هاذي و كذا... كهو مشينا ساعة اخرى و الفلوكة طاحت بيلت كيما نقولو... الترمبة ولات تدخل في الماء لوسط الفلوكة.. معناها الترمبة في عوض تخرج الماء ولات تدخل فيه لوسط الفلوكة... سكر الموتور بحكم ولا يدخل في الماء لل فلوكة... فرغنا الفلوكة بالماء و قعد الموج يهز فينا ويجيب قريب ال 3 أيام و الضو مقصوص... شفنا الموت... يقلك فلان تكشف عالموت, احنا تكشفنا عالموت... مالفوق بحر قدامك و وراك ما تشوف حتى شي... غزرلي صاحبي gris مطر و طقس – أنا حرق معايا صاحبي – قالي معناها رانا سايي... غزرت انا في الفلوكة عباد فوق بعضها خايفة... سايي معناها الناس الكل مأيسة و الماكلة بدات توفا... الريس والا على عصابو, سامحني في الكلمة "تحشالنا معناها" معاش تنجم تعمل حتى شي كان انك ترضى بالأمر الواقع... غصرة صحيح اما الحمد الله معناها الواحد تكتبلو عمر جديد, اما الموت شفناها.....اش حسيت وقتها, واللهي (تنهد) ندمت في اللحظة هاكي.. قلت شوف وين بش نموت.. الواحد كان في دارهم في الدفا.. صحيح مشحتف و ظروف تاعبة شويا اما موش الموت في البحر و اخرتك ماكلة حوت... في اللحظة هاذيكا برشا حاجات يجيو على مخك... ما نحبش نموت هكاكة... جا قدام عينيا شريط حياتي تقول عليه فيلم فهمت كيفاش ؟ تقول ممكن كان كملت قرايتي راني موش هوني توا نتعارك مع الموت.. كان امي وبابا تلهاو بيا راني مانيش هوني.. كان بلادي وفرتلي خدمة و ظروف باهية راني مانيش هوني... احساس رهيب باللي نوصفلك ما نجمش نعبرلك... مبعد تتلفت تلقى الجماعة الكل كيفك.. فما اللي بو صغار فما اللي يصرف على عيلة و اخوات... ما نكذبش عليك وقتها هزيت عينيا لل

سما و قلت يا ربي موش هاذي الموتة اللي نحب نموتها.. مازلت نحب نعيش مازلت نحب نعمل برشا حاجات في الدنيا كيف ندادي... برشا افكار تجيك مبعد كي وصلت غاديكا وتكتبلي عمر جديد حمدت c'est trop tard أما ربي و معروف كيف ما يقولوها البحر داخله مفقود و خارجه مولود.. اما اسمع بالرغم هذا الكل ماذابيا نعاود نرجع بالرغم و مازلت مكبش....أما مندمتش ديما تقعد أرحم من تونس

"وائل ، 30 سنة، صفاقس

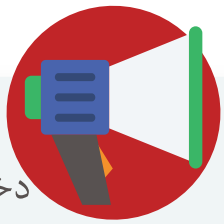

دخلنا ال10 و بداو يعرضو فينا عباد كيما نقوبو يخدمو.. بحارة... يعلمو فينا راهو فما حاكم رد بالكم رد بالكم فما حاكم... دخلنا للمياه الاقليمية... امشي امشي لين ضعنا, ضعنا حكاية ساعتين و نصف خاطر ال ج.ب.س عدمت ما حبتش تخدم... كهو قعدنا نمشيو نمشيو, احنا هكاكة و تخرج سكادرة تونسية تابعة الجيش التونسي خارجة مالمياه متع ايطاليا وقتها بعد ب جمعة من هاكي الفترة اللي الجيش اللي دخل في الفلوكة اكتوبر عمناول... بعدها ب جمعة, معناها عندهم الحق يمشيو يدخلو ويخرجو من غاد... ياخي قالولنا امشيو هكة ل لمبادوزا... هو الجيش... و يلعب في البحر يعني يقربلنا هكة و يعاود يرجع يلعب في البح... و قعد يمشي في جرتنا... اهو بعد اهو قرب و يصور فينا... يعمل هكة و فما هاكي الباخرة الحربية, بارجة كبيرة برتغالية و درا شيعملو غاد و بحذاها زوز سكادرات درا شيعملو... شافونا من غاد, خدمت و جاتنا تجري... هي جايتنا و الجيش التونسي سرح ع روحو دخل لتونس... قعدو يصورو فينا معاهم في بالي هاكي فرانس 2.... قعدو يصورو فينا... احنا قعدنا نمشيو شيرة لمبادوزا و نحبو نمشيو هكة وهي تسكر علينا و تقعد تمشي بجنبنا و بعد قرابة ساعتين

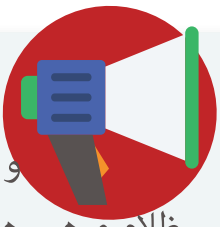

و نصف و الا 3 و هي تمشي بجنبنا... و مع حكاية ال 8 متع الليل الدنيا ظلام و هي هبطت سكادرة من وسطها هاكي البارجة الكبيرة, و السكادرة في وسطها 3 غواصين و فيها عباد بسلاح... و بداو يسألو فينا معاكم نسا و الا ؟ معاكم صغار ؟....يحكيو فرنسية و انقليزية و ايطالية... وسألونا معاكم ارهابيين و الا ؟ قلنالهم ما معانا شي.... عملو كي هكة و قالولنا سكتو الماكينة.... هوما حبو يعرفو شكون الريس اللي يسوق... معناعا هو يمشي يسكت الماكينة حبو يعرفوه... ياخي سكتناها احنا من غير ما يعرف هو شكون اللي سكتها... معناها فهمناهم خاطر معانا شكون يحكي انقليزية قالولنا بش نقربوكم للباخرة هاذي الكبيرة و نطلعوكم بالواحد بالواحد... قلنالهم باهي.. قالولنا خدمو الماكينة... قلنالهم راهي اذا سكتت معادش تخدم... عملو كي هكة و ربطونا, طيشولنا هاكة الخيط الكبير قرطناه في البابور و قعدو يكرو فينا للباخرة و هبطوا هاكة السلوم بالخيط... طلعونا بالواحد بالواحد – لا الاه الا الله محمد رسول الله - .بداو دوب ما طلعنا الواحد عرفت وضعية أول مرة يعيشها و حوايج أول مرة يعيشهم مصدوم.... لابسين هاكة الكمامات و بداو يفركسو فينا... خلاونا كيما نقولو هكة العباد الكل قاعدين وحدنا... مبعد بداو يفركسو في السيكان و ينحيولنا في البلوزون و فركسونا بكلنا... مبعد بالواحد بالواحد يطلع للطابق الثاني يطلع الفوق يلقى طبيب يقيدلنا الاسامي متاعنا و يعديو علينا الطبة و يراونا هكة منا و منا و مبعد يخليونا في بلاصة هكة بعيدة و مشبكة مالفوق و بعيدة و لمدونا العباد الكل غاد و خلاونا و مدولنا ناكلو, عطاونا كل واحد زوز كوسلات (غطاء)... ياخي سألناهم قلنالهم وين باش تهزونا على لمبادوزا و الا سيسيليا... قالولنا نكلمو ايطاليا نعلمو ايطاليا ومبعد نقولولكم... علمو ايطاليا و قالولنا رانا باش ندخلوكم على سيسيليا... حاصيلو رقدنا قمنا من غدويكا مع حكاية نص نهار نلقاو رواحنا مازلنا في البحر.. قعدت ساعة تمشي و تجي عالبرط ماحبتش تدخل حتى يفرغولهم البرط وحتى يجي الجيش اللي غاد و هاكة حقوق الانسان وهاكم الفازات هاكم الكل... دخلونا للبرط وقعدنا يجي ساعة في الباخرة وهي مراكية في البرط و احنا في وسط الفلوكة... بعد هبطونا بالواحد بالواحد... عملولنا كل واحد في بديه باند فيها نومرو ومبعد طلعونا في كار بالواحد بالواحد.. وبعد أقل من 5 دقايق نلقاو رواحنا في وسط تشانترو معناها... و التشانترو هذا قريب.. كيما نقولو تدور هكة و تطلع شوية

"فريد ، 30 سنة ، صفاقس

4. الوصول: ● مراكز الإيواء، المغادرة، والعمل في الريسك

● مراكز الإيواء: سياسة المراقبة والعقاب

الوصول يعني أن رحلة عبور الحدود قد نجحت بسلام، رغم لحظات الخوف والشك والوصول إلى تخوم الموت، ولكن العبور هو تجاوز لمرحلة ولحدود جغرافية في حين تظل حدود أخرى، ذلك أن الهجرة غير النظامية هي حدود متابعة يتداخل فيها الجغرافي والرمزي مثلما بنا سابقا. من يصلون عبر لمبادوزا تنتظرهم مراكز الإيواء الإيطالية أو يقع نقلهم إلى كتانيا أما العابرون عبر سيسيليا فتنتظرهم المراقبة الأمنية ومن ثمة مراكز الإيواء. فالحراقة لن يجدوا أنفسهم مباشرة بعد الوصول في شوارع روما وبلارمو مباشرة بل سيتم إيداعهم مراكز الإيواء بعد إجراءات أمنية مشددة تتمثل أساسا في السؤال عن الجنسية والسؤال عن الهوية ويتم كذلك أخذ البصمات مع بعض الإجراءات الطبية. يتوخى بعض الحارقون إستراتيجية تغيير أسمائهم وجنسياتهم. جلهم لا يحمل معهم بطاقات هويتهم. جلهم يحمل هواتفهم الجوالة. فهم مندمجون على نحو أو آخر في العولمة وما خيار الهجرة غير النظامية إلا رد فعل على الحراك المجالي غير العادل على مستوى عالمي بين دول الجنوب ودول الشمال ورغبة في المشاركة بشكل فاعل في " مجتمع الإستهلاك العالمي". البعض الآخر من الواصلين إلى لامبادوزا يعطون أسماءهم الحقيقية والمسألة هنا خاضعة لإستراتيجيات متعددة وإكراهات التحقيق والخبرات السابقة.

مراكز الإيواء في لامبادوزا في إيطاليا وكلاي في فرنسا والتي يقع فيها إيداع المهاجرين غير النظاميين لحظة وصولهم هي أمكنة احتجاز وعبور وانتظار. ولكنها في المقابل أحد آليات إدارة ومراقبة تدفقات الهجرة غير النظامية لسياسة الهجرة التي يتوخاها الإتحاد الأوروبي. و تتمحور سياسة الإتحاد الأوروبي في هذا الصدد على جعل الحدود ليس فقط مجرد حائط أما الحراك الهجروي، بل لغربلة و مراقبة الحراكات الهجرية " الغير مرغوب فيها" في المناطق الحدودية التي يعبرها المهاجرون غير النظاميون. تقوم هذه السياسة أساسا على المزج بين خطابين. الخطاب الأمنوي (المهاجرون بوصفهم تهديد لأوروبا) والخطاب الإنسانوي (المهاجرون بوصفهم ضحايا)، وهذا المزج يفترض مشاركة عدة متداخلين من بينهم أساسا الأمن والفاعلين في المجتمع المدني. وقد بدأ اعتبار المهاجرين غير النظاميين غير مرغوب فيهم منذ السبعينيات حين أغلق الإتحاد الأوروبي حدوده أمام اليد العاملة. ليتم تركيزهم في " المناطق الحدودية". لمبادوزا في إيطاليا. مراكز الاحتجاز هي بمثابة حدود رمزية للدخول و الخروج من "فضاء شنغن" و لعل الاهتمام الإعلامي المبالغ فيه لهذه المناطق قد عزز بشكل أو بآخر الرؤية الأمنوية لتدفقات المهاجرين و بالتالي تظهر لمبادوزا بوصفها جزيرة صغيرة، لكنها رمزيا تحيل على سياسة الإتحاد الأوروبي في التعاطي مع المهاجرين غير المرغوب فيهم، و بشكل خاص المهاجرين غير النظاميين حيث إن دفع دخول إيطاليا سنة 1997 إلى فضاء شنغن الحكومة الإيطالية إلى تشديد المراقبة على الحدود، و ذلك من أجل طمأنة بقية الدول الأعضاء في الإتحاد الأوروبي المتوجسين من ضعف الرقابة على الحدود الجنوبية لإيطاليا. وقد إزداد هذا التوجس إبان سقوط نظام بن علي على إثر ما بات يعرف " بالربيع العربي" حيث وصل سنة 2011 حوالي 51 ألف مهاجر غير نظامي أغلبهم من التونسيين، وهو تدفق أحدث نوع من التوتر بين السلطات المحلية والمركزية والأروبية، حيث إتهمت السلطات المحلية في سيسيليا السلطات المركزية في روما وبقية المناطق بعدم التضامن وترك سيسليا تواجه بمفردها تدفقات المهاجرين غير النظاميين من خلال رفض استقبال جزء منهم. وهو ما دفع السلطات المحلية إلى طلب مساعدات مالية من السلطة المركزية، بروما وهو ما يعني أن قضية التدفقات الهجرية قد استعملت من قبل السلطات المحلية كأداة " لإبتزاز " السلطات المركزية بل والأروبية. وهناك كي نفهم سياسات الإتحاد الأروبي فيما يتعلق بالهجرة غير النظامية، علينا أن نأخذ في الإعتبار سياسات النزاع بين مختلف الفاعلين

Iوالمتدخلين فيم يتعلق بمسألة الهجرة غير النظامية. حيث يبرز الترحيل في النهاية أو الاستقبال كنتيجة لصراع بين فاعلين متعددين داخل فضاء شنغن، ولكن في الغالب ما يتوحد هؤلاء الفاعلون حول إنتاج معنى مشترك لسياسة " مقاومة الهجرة غير النظامية" ولكن من بين الفاعلين الرئيسين في هذه المنظومة، إلى جانب الفاعلين الرسميين، نجد المجتمع المدني الذي يدير على نحو أفقي مسالة الهجرة غير النظامية على خلاف الفاعلين الرسميين الذين يديرونها بشكل عمودي. لكن المجتمع المدني لا يضع موضع مساءلة الحدود بوصفها آلية إنتقاء للمهاجرين بقدر ما يعمل على إضفاء بعد إنسانوي و غير مسيس على الهجرة غير النظامية، حيث تكتفي غالبية الجمعيات بتقديم خدمات صحية و إجتماعية للمهاجرين غير النظامين، سواء لحظة الوصول أو عند مغادرة مراكز الإيواء، و بالتالي فهم يعملون على نحو أو آخر بسد الفجوة التي يتركها التدخل الرسمي من هذه الناحية، و بالتالي يتحول المهاجرون غير النظاميون من فاعلين في الحدود إلى مجرد " حالات إجتماعية" شبيهين بالعاطلين عن العمل، و من هم دون سكن قار، حيث يتحولون من موضوع سياسي إلى موضوع ذات بعد إنساني، و هو ما ينزع على نحو أو آخر البعد السياسي عن مسألة الهجرة غير النظامية. لكن بالمقابل نجد أن جزء آخر من المجتمع المدني الأروبي ينازع ويصارع من أجل تغيير الرؤية المهيمنة للحدود، بوصفها أداة انتقائية لتدفقات المهاجرين من خلال الإدانة التي يوجهونها لانتهاكات السلطات الإيطالية لحقوق الإنسان في مراكز الإيواء وأثناء الترحيل، و تجريم الهجرة و التضييق على الحق في التنقل، كما تتم إدانة التوصيمات المستعملة لوصف المهاجرين من قبيل " المهاجرين غير الشرعيين" و " الغير مرغوب فيهم"، حيث تعتبر هذه الجمعيات أنه لا يوجد قانون في إيطاليا يعتبر أن أي شخص دون وثائق، و لم يرتكب أي جنحة أو جريمة يمكن حجزه في مكان يتحول شيئا فشيئا إلى سجن و هو ما ينطبق على مراكز الإيواء التي تعتبر بمثابة السجون و مراكز الاحتجاز، و التي يتم خلالها ضبط المهاجرين غير النظاميين و عزلهم إلى حين البت في أمرهم سواء عبر ترحيلهم أو السماح لهم بالمغادرة، و لكن في غالب يعمل المهاجرون غير النظاميون المحتجزون في مراكز الإيواء على الهروب وفق صيغ و حيل متعددة. التصورات مختلفة حول " التشنترو" كتجربة ومرحلة من مراحل مسار الهجرة غير النظامية بوصفه مسار محنة، ومقاومة كما يظهر في شهادات المستجوبين الذين عبروا عن كرههم للأكل المقدم لهم، وغياب النظافة أحيانا والتعامل القاسي للمترجمين والشرطة خاصة أثناء عملية ترحيلهم التي تخضع لإجراءات مشددة سنتطرق لها لاحقا. يتحدث ياسين عن تجربة الوصول والاحتجاز في مركز الإيواء، البعض يتمثله كمنطقة عبور سيتم تجاوزها، والبعض الأخر يضل متوجسا من إمكانية الترحيل، وهي إمكانية تعني فشل مشروع الحرقة. فالحرقة هي ليست فقط تجربة إنها مشروع شخصي وعائلي أيضا.

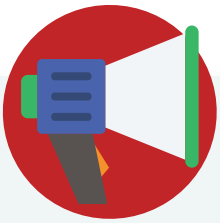

بصراحة و الله شيختني و قتها ردة الفعل متاع الأولاد صحابي (يضحك) إلي هبط ساجد و إلي يبوس في التراب و الجماعة يعيطوا فرحانين، أنا في حد ذاتي معناها نورمال محسيتش حاجة كبيرة أما كيف ريتهم هوما هكاكة عاملين جو ..فرحت معاهم..جاتنا السلطات الأمنية الحقيقة فرحو بينا وقتها مبداوش يقلقوا في التوانسة ..معناها بعبارة فرحو بينا بصراحة ..هزونا طول للتشنتروا غادي و تلهاو بينا مريقلين معناها ..لقيت برشا ولاد نعرفهم من الحوم بحذانا . نقعدوا مع بعضنا و ساعة ساعة نخرجوا البرة ناكلوا حاجة و إلا نبدبروا روسنا و كذا، الحق ما كنتش متقلق ..بالنسبة للتعامل غير الإنساني هذه تلقاها كان عند التوانسة

" ياسين 24 سنة، تونس العاصمة

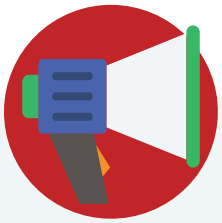

ثلاثة سوايع كيما هكة وظهرت طيارة مالفوق طليانة قعدت تدور علينا... بعدها ب أقل من ساعتين دخلتلنا زودياك... احنا شفنا ال درابو و احنا ويطلغمو بالطليان ما lacha lachino تفرهدنا.. كهو وصلولنا بداو يحكيو بالطليان فهمناهمش... بداو يطلعوا فينا بالواحد بالواحد.. خليناها الفلوكة مبعد نشوفو فيها غطست في الماء غرقت نشوفو فيها من بعيد تقول لعبة بالمقارنة باللي راكبين فيها... قلنا الزح كيفاه كنا احنا الكل راكبين فيها.. كهو مشات بينا السكادرة وصلت بينا حكاية الستة غير درجين.. كهو هبطونا في البرط العباد الكل عالصقالة هزونا للبرط متع لمبادوزا.. عرضنا الحاكم الطليان غادي و نلقاو صحافة تصور و جمعيات وكل.. فركسنا الحاكم تفتيش كامل... وانا واحد مالناس دوب حطيت ساقي

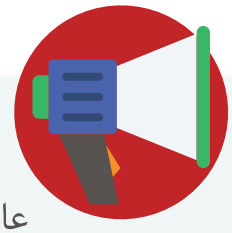

عالارض ساقي مالقيتهاش دايخ.. و عباد اللي معايا ترد... حاصيلو كلها حاصيلو دخلت بعضها وجيعانين ماكلة معادش فمة و سبيسة معادش ..panique فمة...مبعد هزونا للتشنترو ايه في التشانترو... هو كيف المبيت نباتو فيه... اما سربسوها برشا خاطر 2013 هربو منو توانسة كسروه بكلو توانسة... وكي عاودو ريقلوه , ريقلوه على قاعدة... معناها نفس لا مفماش... مبعد مشينا فما كي البياصات فوق بعضهم في بلاصة كبيرة ... وفما بلاصة اخرى وين ناكلو ومن غادي فما بياصات اخرين... دخلنا نلقاو 5 مصارة و 2 ليبية و 2 افارقة... وا حنا نهارتو دخلونا ال4 متع العشية و هوما في نهارتو الصباح سيبو 200 واحد سيبوهم من غاد... عطاوهم هاكي متع جمعة يقعدو في ايطاليا مبعد يغادرو.. دخلنا, دوشنا, رتحنا, اتكينا, جابولنا ناكلو... فما كي الشباك صغير نمشيو و كل واحد يهز العشا متاعو.... رقدنا و قمنا من غدوة نحبو نتكلمو فكولنا تاليفوناتنا خلاوهم عندهم... نحبو نتكلمو في التاليفونات قالولنا ما فماش توا... حاصيلو بعد نهارين مالليل وصلنا باش جابولنا تاليفونات... وجابولنا مترجمين, فما واحد مصري و وحدة مغربية و وحدة اسرائلية و واحد أخر مالغابون و الا درا منين.. يترجمولنا.. ... ويعطيونا بونوات كل نهار.. كل نهار 2.... احنا على اساس باش يسيبونا و كيف يسيبونا على اساس نجمو نقضيو بيهم دخان و الا اي موضوع متع سندويتش و الا اي حاجة

" فريد، صفاقس

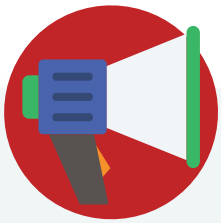

الحاكم غادي وقت فركسنا و يحكي معانا درا كيفاش بحقرة و كشة و نشة كي الحاكم التونسي.. وكيف طلعونا في الكار يدزو و درا كيفاش شادين سلاح تقول مروحين بخلية ارهابية... بحكم اللي سامعينو علينا و عالتوانسة.. خاطر قبل ب مدة حرقو التشانترو التوانسة دمروه ما خلاو فيه شي.. دونك واخذين علينا فكرة و محتاطين منا... التشانترو هذا جاي في وسط لمبادوزا.. و تخيل احنا وقتها التوانسة اكثر من سكان لمبدوزا غادي.. ولينا نعملوا في مظاهرات و احتجاجات و قعدنا نحوسو غادي في لمبادوزا حكاية جمعة و مبعد بداو يهزو فينا بالواحد بالواحد و مجموعات مجموعات عالبابر و ساعات ينقصو بالطيارات بحكم احنا برشا وقتها... بالنومرو يناديو اللي يناديو عليه يمشي... انا واحد مالناس هزوني على طيارة وقتها أنا و 12 واحد معايا اخرين... انا قعدت جمعة غادي... و Bariمن مطار لمبادوزا ل اللهي ما نكذبش عليك الظروف كانت خايبة شوية بحكم احنا برشا وقتها... رقدنا في الشارع في البر ط في التراكن اما اوكا الماكلة متوفرة.. صحيح ماكلة خايبة برشا و ما وحشاك ماسط.. هاوكا الصباح pasta pasta pasta تتاكلش اما خير من بلاش... ديما نص النهار كيف كيف- . confiture يعطيونا خبز و حليب و وحدة فرماج و وحدة خاطر التشانترو libreايا مقرونة يا روز.. ومبعد نقعدو نحوسو في وسطها لمبدوزا معاش يهز فهمتشي... الامن كان محتاط منا برشا, رانا 22.000 حارق... يتعاملو معانا معناها فهمتشي.. اوكا ساعات يصير عرك بين الحارقين يجيو يفضوها limite limite و ساعات يدورو عليهم بالمتراك.. اللي يعملو المشاكل. وساعات عبد خاطيه يدورو عليه يدخلوه في العجة ما يفرزوهش, تلقاه داخل يحز ياكلها معاهم.. هاوكا الواحد ماذابيه يقعد بعيد و اكهو لا يعارك لا يحز.. خاطر بش يمسخ دوسيه و يترشم...بالنسبة للماكلة يجيبولنا مقرونة مكشطية ..تحل الباكو تضربك حاشاك الريحة .. .. أنا واحد مالناس ما ناكلهاش هاكي المقرونة... اما يجيبولنا معاها مرقاز مكشتي و الا دجاج و يعطيونا خبز... هاوكا نحل هاكة الخبز نحط فيه اللحم... حتى كان قعد شوية لحم هاوكة نمشيلو بضحكة و لعبة نقلو اعطيني خبزة يمدلي... فطور الصباح قهوة و زبدة ومعجون.. في الحبس يسميوها الراسيون عالزبدة تونسي.

و المعجون... كهو فطور هاكة الصباح ... عرفت (استدراك) المشكلة مش فيهم هوما... المشكلة في التوانسة ... ديجا فما عباد طلعوا معايا مسخين معناها ... معناها حتى كي تاكل تلقى الماكلة طايشة هنا و الطاولة مسخة.... معناها ما فماش نظافة... ممكن انا نقول ممكن كان ما فماش مشاكل.. خاطر تصير مشاكل.. أنا واحد مالناس صارتلي مشكلة أنا و واحد

"وائل ، صفاقس

بالمقابل تبدو تجربة العبور عبر لمبادوزا مختلفة عن تجربة العبور عبر سيسيليا حيث العبور العبور عبرها حيث لا يتم المرور مباشرة إلى مراكز الإيواء بل في مرحلة أخرى بعد أن يتم ايقاف المهاجرين من قبل الشرطة الإيطالية. يتحدث محمد عن لحظة الوصول إلى سيسيليا.

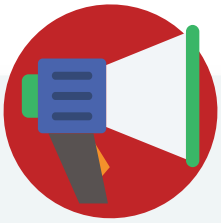

حطنا في الجبل ..أنا مشيت بشورت و كذا ..هبطت شايح ..الماء ممسيتوش .كان هك الطش متاع الموج في الثنية ..وكي وصلنا بداو يتفرقوا ..4 توانسة (المقصود من تونس العاصمة) مشاوا مع بعضهم..أنا مشيت أنا وواحد من أريانة وواحد صفاقسي من طريق المطار ..اول مرة نشوفوا حتى في الشقف متعرفتش عليه جملة ..إلي هذا مشا و أحنا الحق متحركناش في ليلتها ..إلي هذا مشى ..قعدنا نمشيوا la في الجبل \اما بلي تخزر متشوف شيء كان الكياسات و كراهب طايرة ..شفنا كان من بعيد قلنا أي برا نصوبوا غادي ..وصلنا نلقاو غادي العنب مغروس compagne متاع واحد مغربي ..حكينالوا الحكاية .قاللنا منين نمشيوا ..قاللنا من المنطقة من هنا و متاخذوش التران خوذوا الكار خاطرها أرخص ..قلنالو رانا حتى الفلوس معندناش ..يخي قام بالواجب فطرنا و عطانا 40 أورو أما أما هوما ميعملوا شي في 3 ال 40 أورو ..أما طلعت الكار متاعهم

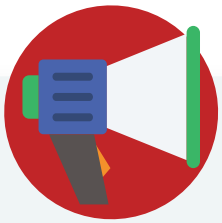

رخيصة كي تتنقل مثلا من سيسيليا لباليرم ..هبطنا للكياس ماناش مصدقين أما مفجوعين يشوفناشي حاكم و إلا حاجة ..صاحبي هذا إلي من أريانة شاف حاكم هرب يجري ديراكت من غير ميقول لا حاكم لا شيء ..هو شاف حاكم هرب شفناه هارب خلطنا ديراكت من الفجعة ..خلط علينا الحاكم بحكم كان راكانا ..منعرفش كيفاش يحكي و أحنا منعرفوا حتى شي ..مناش فاهمين شي rapide ..يا خويا هو يحكي بالطلياني و يعيط و أحنا نحكيوا بالتونسي و نعيطو " ما عنا شي ما عنا شي" ..لا فهمناه لا فهمنا ..هبطوا الثلاثة من الكرهبة و هاكة إلي يسوق هبط لصاحبي ديراكت ..شدو رقدو حطوا قد قد هو و الكياس و شدلوا غيديه لتالي عبارة إرهابي (تعبير إشمئزاز على وجهه) و مهو مفجوع أصلا ..حتى الحاكم يحكي و أحنا من automatiquement مناش فاهمين ..و للينا أنا من هاك طريق المطار تبعناه غير إستعمال عنف لا حتى شيء ..ديراكت هو عمل هكة (مشيرا إلى طريقة وضع اليدين خلف الرأس) و تبطحنا ديراكت ..و هو يحكي و ممكن قال بالطلياني تبطح فتش بعد ندرا شقال ، bien bien و أعمل هكة ، و أحنا ممكن مافهمناهوشفتشنا ما غير وراق سيبنايا خويا تنهيدة تفجعنا...نكمل des clando بالطلياني عرفنا كانت رحلة..g.p.s نحكيلك ..ب 40 من غادي لباليرمو ..و بالتاليفون تشوف ب غاديكا ما كناش نتوقعوها ventimillia صعيبة صعيبة برشا ..وصلنا للحدود متع صعيبة بالطريقة هاذيكا ..معناها جبل و زيد معندكش فلوس ..كلمت صاحبي و و هو نيس موش بعيدة على غادي Nice كلمت ولد خالتي في فرنسا يسكن في خاطر كي كلمتوا قتلو اا في الحدود و معنديش حتى أورو بش نتعدى و حالتي حليلة حتى دوش ما دوشتش جمعة و إلا قداش ..جاء ولد خالتي دخل لإيطاليا مدلي 200 أورو و جا باش يعدينا و قلي صاحبك متاع ثنية المطار منتحملش مسؤوليتوا

" أحمد، 25 سنة. صفاقس

النجاة في سيسيليا من الرقابة الأمنية تعني تجاوز مراكز الإيواء، و العبور إلى فرنسا عن طريق شاحنات التهريب أو البقاء في إيطاليا و الإنخراط في الإقتصاد غير النظامي، مثل الإنخراط في شبكات بيع المخدرات وهي من التعلات الرئيسية التي تعتمدها السلطات الإيطالية لترحيل المهاجرين غير النظاميين، و رغم أن تجربة الإحتجاز في مراكز الإيواء تبدو غير مؤثرة في البنية النفسية للمستجوبين، الذين مروا بها لأن السلطات الإيطالية تعمل، بالشراكة مع المنظمات الإنسانية، على إضفاء بعد إنساني على مقرات الإحتجاز و لكن بالمقابل فهي تعمل على تكثيف المراقبة و العقاب عن طريق الإنتهاكات الجسدية، و إستعمال القوة ضد المهاجرين غير النظاميين، و التحكم الأساسي هو تحكم في أجسادهم عبر تطويعها من خلال الأكل المعقم. الأكلات المقدمة تضعف الرغبة الجنسية، و التصور الذي تحمله السلطات الإيطالية يصب في هذا الصدد على تمثل و تصور للمهاجرين غير النظاميين بوصفهم مجرمين و منحرفين، و لابد من ضبط أجسادهم والتقليص من رغباتهم خاصة و أنها تتيح لهم، في لامبادوزا، مغادرة المأوى. من ناحية أخرى، تضمن السلطات الإيطالية وجود مترجمين للتواصل مع المودعين في مراكز الإيواء. لكن المترجمين مثلما يشير المستجوبين هم جزء من آلية لمراقبة إدارة تدفقات الهجرة غير النظامية نحو إيطاليا وليسوا فقط مجرد وسطاء لغويين لتسهيل التواصل ولكن العنف الرسمي في مراكز الإيواء يتجسد على نحو اعتباطي من خلال قرارات الترحيل الجماعي وهي قرارا فجئيا وغير معلنة للمحتجزين في مراكز الإيواء، لهذا فهي تتم ضمن عملية إستنفار أمني ورقابة مشددة وهي ما تخلق مقاومات مختلفة داخل مراكز الإيواء مثل محاولات الانتحار والهرب والتمرد. فقرار الترحيل هو لحظة فارقة في المسار الشخصي للمهاجرين غير النظاميين هو قرار إقصائي ولكنه أيضا يتمثل من قبلهم بوصفه إجهاض لأحلام وآمال غامروا من أجلها.

المحور الرابع: الترحيل و ما بعد الترحيل

من "الشقف"، إلى الطائرة

II. الترحيل

6. بيروقراطية الترحيل

تخضع عملية الترحيل إلى بيروقراطية وإجراءات أمنيةمشددة من قبل السلطات الإيطالية،والتي تقوم بالتنسيق مع السلطات التونسية في هذا الصدد. عمليات الترحيل تتم عبر مطار بلارمو وتصل في الغالب إلى مطار النفيضة أيام الإثنين والخميس. تتكفل السلطات الأمنية بعمليات استقبال المرحلين التحقيق مع المرحلين دون حضور وسائل الإعلام ومنظمات المجتمع المدني، بل يتركون التحقيق معهم دون نقل لأماكن سكنهم الأصلية ودون مساعدة على ذلك من السلطات،وهو ما يجعلهم معرضون لمخاطر خاصة حين يكون الوصول ليلا. لا تعتمد السلطات التونسية غالبا العنف في عملية إستقبال المرحلين لكنها تعتمد على نوع من الهرسلة النفسية المرتبطة بالتحقيق. السلطات الأمنية تتعاطى مع المرحلين كمصدر للمعلومات فقط ولكن السلطات لا تأخذ المعايير النفسية وأثار عملية الترحيل على المرحلين قسريا.

عملية الترحيل هي مسار إجرائي يتم عبر الترحيل الجماعي أو الفردي، حيث نجد أم هنالك من يتم ترحيلهم بصفة فردية ويتم القبض عليهم من قبل السلطات الأمنية الإيطالية،وتنسب إليهم عادة جنح وجرائم أو وضعيتهم دون وثائق قانونية وهناك من يتم ترحيلهم بصفة جماعية،وهؤلاء هم عادة من لم يتجاوز عتبات مراكز الإيواء. عملية الترحيل " تجربة مخيبة" للمهاجرين غير النظاميين. إنها تعني " العود على بدء". العودة إلى اللحظة الأولى،وكأن شيئ لم يكن. لم يحدث. تعني " الخسارة" و " الفشل" وهي أسوأ ما يتوقعه المهاجرون غير النظاميون ومن المفارقات إلى الحد الذين يقبلون الموت في عرض البحر بوصفه جزء من " مغامرة الهجرة غير النظامية " ويرفضون الترحيل ويقاومونة بشتى الطرق إلى حد محاولات الانتحاروالهرب من المأوى. إنهم يطابقون بين الترحيل والموت. يقول هشام من الرديف 27 سنة " ونحن في الطائرة كنا ندعو الله كي تسقط بنا الطائرة على أن نعود إلى تونس. لم أكن أتمنى الموت في البحر لكن تمنيت أن تسقط بنا الطائرة ونموت". يعبر المرحلون قسريا عن عدم رضاهم عن تعامل السلطات القنصلية التونسية في إيطاليا،والتي تتعامل معهم هي الأخرى بمنطق أمني ولا تبدي تعاون وتفهم لوضعهم ويمضي المرحلون قبل ترحيلهم على وثائق باللغة الإيطالية، لا يتم ترجمتها لهم في الغالب أو مساعدتهم على فهمها وهي وثائق تتعلق في الغالب بالإلتزام بعدم العودة إلى الأراضي الإيطالية،ويشكل عدم ترجمة الوثائق لأشخاص يمضون عليها دون فهمها إنتهاك لحقوقهم القضائية والقانونية. عملية الترحيل تبدأ من عملية الإحتجاز وصولا إلى الطائرة التي ستقلهم نحو المطار. الشرطة غالبا ما تستعمل معهم القوة في حالات المقاومة. كما يقع عرضهم على الأطباء قبل عملية الترحيل ويقع تفتيشهم قبل ذلك على نحو ينتهك حرمتهم الجسدية.

يتحدث وسام 28 سنة من قليبة عن تجربة الترحيل و التي كانت بسبب وجوده غير القانوني على الأراضي الإيطالية "

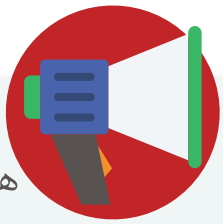

هزوني للمركز بقيت قريب ساعتين مسلسل و قاعد على كرسي و مبعد دخلوني للبيرو. بحثوني و خذاو البصمات و عملولي تصاور. بيتوني ليلتين خاطر قلتلهم سوري . يظهرلي إتصلو بالسلطات التونسية خاطر عرفوا إسمي و هويتي كاملة و مبعد هزوني للمطار و قعدت محتجز في بيرو حتى لين جاء وقت الطيارة..طلعوني زوز بوليسية حلولي إيديا في الطيارة و مشاو ..لكن قبل منطلع ووقت التحقيق عطيطهم هوية غالطة و جنسية غالطة ، كيف مقتلك..قلتلهم إلي أنا سوري فماش منطلب لجوء إنساني كان مروحوش بيا ..أما قبل ميروحو بيا معرضونيش على قاضي ..قالولي نجيبولك محامي و لكن المترجمة مترجمتش كل شيئ كينها مسمعتش كلمة الحقيقة كان فمة مترجمة تونسية أما حسيتها مترجمتش الكلام الكل.. avocato ..خاطر ا،ا نتكلم برشا و هي إترجم شوية ..وزيد الفازة إلي قتلك عليها متاع المحامي ..صححت في المركز و كيف سألت المترجمة قتلي أقوالك ز سكتت

" وسام ، 28 سنة، قليبية

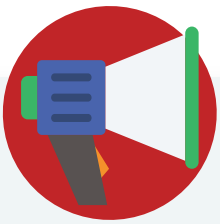

ترحلت على خاطر تشديت في عركة في البار ، غلي حكيتلك عليها و ما عنديش أوراق ..ظروف الترحيل كانت أخيب لحظات عمري ، حسيت بالظلم ..عام كامل مخبي و مخرجتش..و مبعد نتشد في عركة و أنا خاطيني..مكنتش طرف في العركة و الطلياني ألي معايا كيف كيف..مشيت معاه على أساس نتفاهموا كيفاش لقاني خدام و ثقة ..كيف شدوني قاومت خلوضتها من contrat de travail يعملي الأول ..كي وصلت تشديت حسيت روحي مستسلم ..مبعد في المطار عرضوني على قاضي في المطار و فما محامية وكانت فمة مترجمة ..المحامية دافعت عليا برشا أما القاضي حكم بترحيلي ، المحامية تقلوا كان موجود بالصدفة و هو كان رافض أي محاولة باش نبقى..الحقيقة مصححتش على حتى ورقة ..ز ما حولتش نهرب كانوا معايا زوز بوليسية

"أيمن 26 سنة من قليبية

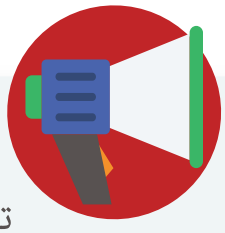

تشديت في كونترول في التران و هزوني للمركز متع الشرطة بحثت و سرقتها و مازلت valise تعديت للمحكمة بحثوا معايا إستعرفت على روحي قلتلهم محليتهاش . تحكمت بعام و شهرين و بعد خرجت ..الشرطة الإيطالية وقت غلي في يديا يخي بوليس معاهم دورلي إيدي menotte وقفوني. مخليتهومش يحطولي تفصعت ، و بقيت هكاكة من غير طبيب حتى لنهار المحكمة ..قلت للقاضي يخي هزوني للسبيطار و مبعد للحبس ..بعد مخرجت من الحبس تعرضت على قاضي و هو إلي حكم بالترحيل ..من الحبس هزوني للمطار و سكروا عليا في بيت متاع حجز حتى لين جات الطيارة . البيت إلي توقفت فيها حسيت روحي قعدت فيها سنين

" أحمد، 30 سنة قليبية

يتحدث فريد عن تجربة الترحيل، وهو من بين الذين تم ترحيلهم، من لمبادوزا أي أن رحلته قد توقفت هنالك و لم يستطع مغادرة مركز الإيواء . لينتهي مشروعه الهجري بالعودة إلى تونس .

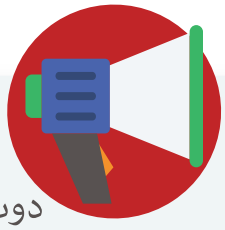

دوب ما وصلنا ..قعدنا كيطلعونا لهاك البارجة الحربية و كي وصلنا لإيطاليا هي اللي g.p.s قلنالو راهي ou est le patron قعدو يسألو فينا الريس شكون تمشي فينا ...كي في وصلنا غاديكا فمة ثلاثة مشاو عيطولهم معاودين (يعني معاودين الحرقة) ضربوهم ..ضربوهم باش يقولولهم شكون إلي يسوق ..وعرفوهم إلي هوما معاودين كيف رجعوا للبصمة ..يضربوا يخرج كل شيء...ضربوهم يخي قالولهم الريس شكون ..و المساعد متاعو شكون ..هزوهم لبلاصة أخرى لحبس آخر..و الثلاثة هذم حولوهم هزوهم باتوا في تشانتروا آخر و مبعد سيبوهم و

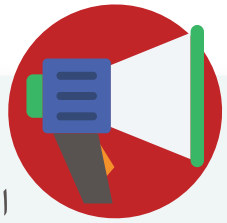

الريس و المساعد متاعو عداو 25 يوم حبس و مبعد سيبوهم حتى هوما ..زهر ..أنا قلتلهم كان في بالي بيه هكة راني أنا إلي صبيت بيهم و إلا راني قتلو أنا الريس. عاد قلك 3 هذوما سيبوهم و الأخرين عداو 25 يوم حبس..أنا عطيتهم البصمة متاعي و الإسم الصحيح و اللقب الصحيح ، على خاطر بالبصمة ..و أحنا راهو البصمات متاعنا الكل عاطييتهم الحكومة التونسية لإيطاليا ..من التشنترو مخرجوناش..مخرجونا كان كيف جاو يروحوا بينا ..الحقيقة أنا خممت باش نهرب أما النفس مفماش ..تي قتلك نورمالمون الدخان فما ساحة نخرجولها ما خرجناش ..و التشانترو في وسطوا في وسطوا كل شيء ..تعمل كل شيء ...تاكل غادي ..مش تاكل وين ترقد ..منظمة معناها فهمتشي..فما من الشيرة من غاد الأدواش ..كبيرة هي فهمتشي ..كيما ترى المعرض من داخل ..كبيييرة..و بالله فما كلمة نحب نقولها..على ماشفت أنا برشا حاجات ..دولتنا رخصتنا ..على الأوراق رخصتنا و الله العظيم هي الدولة إلي خلتنا هكة ..و لكن السؤال هو علاش كان التوانسة هوما إلي يروحوا بيهم "علاش كان التوانسة يروحوا بيهم ..هي الدولة إلي تطلب باش يروحوا بالعباد..أكهو عاد وقت إلي هزينا للتشنتروا حبيت نهرب ..حتى كيف منقولوا في الكار كي طلعونا بش يهزونا للتشنتروا قتلوا نحب نمشي للتواليت ..كي هبطوني زوز مصلي على النبي ز شادیني ..هزوني للكبين بجنب الكار ..و هو يحلك الباب ويسكر و يقعدوا واقفين في الباب ..حتى لوجت غادي في التواليت غادي ..فماشي شباك خلي نخرج ..و حتى الباخرة إلي راكات في البرط حبيت إنقز من غير حس مبعد شوية بشوية نسرح ..أما فما فلوكة قعدت ماشية جاية وسط البحر ..معناها مفما حتى حل ..كهو قتلك عاد صاحبي قلي راهي مرواحة (معناها ترحيل) ..بداو يعيطولنا بالواحد بالواحد..و يطبعولنا درا شنوة وراق نصححوا فيهم ..الدنيا ضلمة ضلمة وكراهب و فما زوز كيران ..نخرجوا بالسيكان متاعنا ..يطلعونا شطر في الكار هاكي و شطر في الكار الأخرى ..قسمونا على زوز كيران (يترشف القهوة و يواصل الحديث) كيما نقولوا 15 في الكار هذي و 15 لخرين حاكم و الكار لخرى 15 و لخرين حاكم..قلنالهم وين ماشين قالولنا ماشين لمطار باليرمو..في الثنية قعدو يتمنيكوا برشا و أحنا نسبوا فيهم ..وصل شكون تضرب بالمتراك غادي وسط الكار ..حاشاك حتى باش نعملو

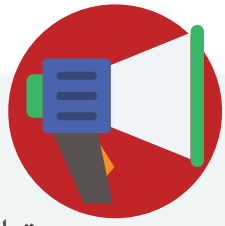

تواليت يقلك لا..4 سوايع معناها من التشانتروا لمطار بلارموا وخلاونا في الكار ..فما زوز كيران ..فما كارنا أحنا و فما كار أخرى جات من تشانتروا آخر و فيها شكون تلاقيت أنا وياه قبل منخرج بجمعة هنا في البلاد و مبعد مريتوش ..ماريتوا كان كان مبعد في مطار بلارموا مروحين مع بعضنا..كي حكيت أنا وياه خرجنا فرد ليلة..أما هو من بلاصة و أنا من بلاصة أخرى ..كهو عاد خرجونا هبطونا بالواحد بالواحد بش نقابلوا القنصل ..قعدنا نستناو فيه يجي ..هبطونا بالواحد بالواحد و عباد تسب فيه و إلي يدخل و يخرج يسبوا...أي القنصل عندو بيروا غادي في المطار بش العباد إلي باش يروحوا بيهم يقابلوه ..عندكشي متحكيلوا .مثلا إذا كان إنت عندك مرتك و صغارك في إنقلترا و إلا بلاصة أخرى و باش يروحوا بيك يخليوك على شيرة ..معناها ميروحوش بيك .. معناها إلي عندو أوراق مفكوكة غاد ..منعرفش أما حوايج كيما هكة ..يقابلوه العباد الكل نمشيوا نقابلوه، فما اللي يسبوا و يخرج ..إنت تخرج من البيرو متاعوا تلقى وحدة كبيرة فيها ساشيات، تهز ساشيه فيها 2 سندويتشات ودبوزة ماء ..يهبطوك فما بيت لوطا في المطار يخليوك فيها غاد حتى يجيوا الأعوان..خاطر كل غاد يروحوا بيه من غاد في الطيارة هو في الوسط و منا عون بالزي المدني و منا عون بالزي المدني طلاين ..معناها كل واحد معاه زوز بوليسية ..ويديك بهاكي السكوطش..أكهو في المطار قعدنا هكاكة ..قعدنا ناكلو ..وعباد قعدت تبكي و أنا واحد من الناس نبكي..قعدو يستناو فيهم هاكم حتى يجيوا..أنا مثلا جاء معايا راجل و مرا ..هاوكا مبعد عاد يقعدوا ينضمولهم في جوهم ..يسألونا تستحقوشي حاجات ..دخان ..أنا قعدت نتكيف قبل منطلعوا في الكار ..مبعد طلعونا للطيارة..قعدنا في الثنية 37 دقيقة .باليرمو النفيضة 37 دقيقة

" فريد، 27 ،سنة صفاقس

7. ونحن في الطائرة إلى تونس: كل أحاسيس الخيبة والألم.

لحضة صعود الطائرة هي لحضة ذات كثافة نفسية عاليه، حيث التأكد أن العودة إلى تونس لا رجعة فيها، تتصاعد مشاعر الألم والخيبة،ويتكثف الشعور بالخيبة والفشل،وهي مشاعر تصل إلى الرغبة في الموت. الخيبة مأتاه أن ثمة خسارة شخصية ومادية والعودة إلى تونس يتمثل بكونه " عودة إلى المجهول" عودة إلى " اللحظة الأولى " إضافة إلى نظرة الآخرين. هذه المشاعر قد تدفع ببعض المرحلين إلى ردود فعل عنيفة في المطار مع السلطات الأمنية،والتي تحافظ على نفس النظرة الأمنوية إزاء المرحلين، حيث ينظر لهم بوصفهم مجرمين ومنحرفينمحتملين. عودتهم تتم دون أي مرافقة قانونية ونفسيةودون حضور للمجتمع المدني. فالسلطات التونسية، رغم الوضع الديمقراطي، تعتم بشكل كبير على عدد المرحلين إلى الحد الذي لا يعرف بالضبط أعدادهم، كما تتوفر دراسات كافيه حولهم وحول وضعهم.

شدتني غصة كبيرة و حسيت إلي أحلامي الكل طاحت في الماء ، احلامي " الكل طاحت في الماء..احلامي الكل طاحت ورايا في إيطاليا.. الخدمة و صاحبتي و الفلوس ..حسيتها حلمة و مشات على روحها

" أيمن ، 30 سنة، قليبية

و كانت هاكي المرواحة..معايا زوز من الناس من تالي بالكل واحد بجنبي و الآخر من الجهة الأخرى" و أنا بحثا الشباك ..الرحلة في الطيارة هاك الوقت تعدى درى كيفاش ..قلت شوف اللي مشيتوا أنا 36 ساعة و أكثر معناها نهارين ..و اللي عملتوا في 7 شهور في إيطاليا و فرنسا و اللي تشحفتوا لكل تعدى في فلاش و تعدى في ساعتين ..معناها حكاية فارغة

" وائل، صفاقس

" الإحساس من النقيض للنقيض . ملي منت في شقف .تتمنى إنك تعيش و توصل للمياه متاع إيطاليا..تلقى روحك ركبت في طيارة و ليت تتمنى إنها إطيح ..و تموت في البحر ..معناها كنت تتمنى باش تعيش و توصل للمياه متاع إيطاليا..وليت تتمنى باش تموت..معادش فمة أمل ..تفد من كل شيء ..تولي تخمم في كل شيء ..في اللحظة إلي خرجت فيها ..و هاك المعاناة ..و تعب ..و داركم يكلموا فيك و أمك و باباك..تحسوا إنوا مهواش قاعد يوكل ..كل شيء تخمم فيه و مبعدها تجي تلقى روحك في طيارة ..في الهواء راجعة لتونس ..شنوا ثماش واحد يتمنى أنو تتفلق بيه فيه البحر اللحظة هذيكا..اللحظة هذيكا تحس الناس الكل تستتنى وقتاش إطيح الطيارة ..موش كان نا وحدي ..هذي الناس الكل قالتها..الناس الكل تدعي يا ربي إطيح الطيارة من إلي كنت تحب تعيش "

8. الاستقبالالأمني فيتونس: عودة إلى الحدود

تعاطي السلطات الأمنية مع تدفقات المرحلين بشكل قسري يخضع لإجراءات أمن الحدودحيث يجري التثبت من الهويات ومن السجل العدلي، حيث تتوجس السلطات الأمنية، من وجود منحرفين سابقين أو مورطين في قضايا إرهابية ويتم استقبال المرحلين بشكل جماعي في مطار النفيضة أما المرحلون فرديا فيكون ذلك في مطار قرطاج الدولي. أغلب المجموعات المرحلة يتم استقبالها في مطار النفيضة يوم الإثنين والخميس. لا توجد سياسة استقبال محددة للمرحلين. كل ما يوجد هو إجراءات أمنية. من بعد ذلك وبعد التحقيقات يتم إخلاء سبيلهم. الكثير منهم يجدون أنفسهم مضطرين للتعويل على أنفسهم للحصول على وسائل نقل للعودة إلى منازلهم وخاصة الذين يقطنون في المناطق الداخلية مثل قفصة ومناطق الجنوب التونسي حيث لا تتكفل السلطات بأي مساعدة لتوفير النقل، فقط وفي بعض الأحيان يتم تسخير حافلة من أجل إيصالهم إما إلى تونس العاصمة أو سوسة،ومن بعد ذلك عليهم تدبير أمرهم وهذا أمر يعمق لديهم حالة الإحساس والشعور بالغبن،وأن الدولة تتعامل معهم كمخترقين للقانون وليس كفئة ذات عطوبة نفسية واجتماعية. لهذا فخلال عملية الإستقبال لا يوجد أي مساعدة أو تدخل من المجتمع المدني ولا تقع أي تغطية صحفية وهو ما يجعل عملية الترحيل ذات طابع أمني صرف وطابعها الأمني يتمثل أيضا في الاعتداء اللفظي على بعض المرحلين وإن بدت هذه الاعتداءات غير ممنهجة إلا أنها موجودة.

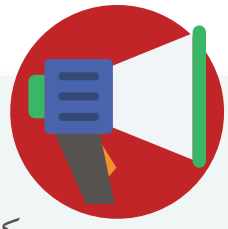

يمكن خرجنا من بلارمو العشرة ..يمكن حكاية الأحداش ..حكاية الأثناش وصلنا لتونس لمطار النفيضة .نلقوا الحاكم يستنى فينا ..أك الخيوط متاع الصباط مدهوملي في الطيارة ..لبستهم ريقلت أموري ..دخلنا دخلونا للكلوار..قالولنا أول ما و إلي recherche جاء واحد حاكم : قلنا لولاد مضبينا تتعاونوا معانا .معناها إلى في عندو قضية و إلي عندو كل شي يخرج على جنب وو رانا باش نسألوكم و باش نعملوا معاكم بحث و كذا و مبعدها أكهو ..و مبعد تمشوا تروحوا على أرواحكم..مبعد عطانا هذاكا وجه السوق في الأول و مبعد بدا يعمل بدا يعمل في كبسة ..عطاها بالكلام الزايد ....معناها باش يعمل كذا و كذا ..و معناها باش تعرف روحك إنو

أنجموا نمشوا معاك باهين كيف منجموا نمشوا معاكم خايبين ..أكهو بداو ينادو علينا بالواحد ..تمشي تعمل بحث يبحثوك ..تصلي متصليش ..تسكر متسكرش منعرفش شنوة ..هوما يحبوا إثبتوا فيك إرهابي و لا..البحث يدوم ربع ساعة هكاكة أما هوما يهزو بالدفعة ..كل دفعة مع بضها ..الحاصيلو تخرج في الليل ..مع نصف الليل جابولنا زوز كيران وحدة لسوسة و وحدة لتونس و أخرى للرديف و إنت وين تحب تمشي ..نصف الليل تلقى روحك مطيش في تونس

" هشام، 27 سنة. الرديف

عادي يعني مفماش قلق. نتفكر وقتها حكاو معايا شوية أما مدققوش برشا. المشكلة الوحيدة أنو ملقيتش كيفاش نمشي للدار، أنا بابا متوفي و أمي وأختي وحدهم في الدار مينجموش يخرجوا فهمت؟ قعدت نستنى في ولد حومتي لين جاء روح بيا

" حسام، 27 سنة. تونس العاصمة

الضرب الحقيقة مضربوناش ..أما عيطوا علينا و بخسونا و هنتلونا ..و قالولنا راهو الي باش يكذب علينا و"إلا باش يعطي إسموا بالغالط ميلوم كان روحو ..راو إلي يقدر يقدر روحوا هذا شنوة قالولنا..بالعكس حتى الأعوان جايين معانا نحنا قالولنا نحنا كيف نلقوا كيفاش نحرقوا توة نحرقوا و قولولنا كيفاش ..و كل واحد جبد اليتيوب و بداو يوريوا فينا ..تي هوما الأعوان مهمش حابين يعيشوا في تونس

" منور ، 26 سنة. الرديف

أول موصلنا لمطار النفيضة بداو بيا أنا الأول (نا رئيس العصابة..مبتسما) على خاطر أنا هو إلي عملت الشغب في الطيارة ..جاني واحد قرايدي ثلاثة نجوم ..قلي أهلا بسي نور الحق ..حضرلي دوسيا..فمة واحد قلي شنوة تخدموا في إيطاليا مكم تمشوا تخدموا في الغبرة ومن غادي عاد بدات الإهانات..يسألك على إسمك على إسم أمك ..وين تسكن و كذا ..منين حرقت و أكهو ..بقداش حرقت . قعدنا من الساعتين للعشرة متاع الليل...هوما الطلاين بصمولنا في نصف ساعة..إنت مدوش و راقد و مرتاح و هوما بلعاني يستفزوا فينا ..معناها من الساعتين و زيد يسيبوك في العشرة متاع الليل في سوسة ..جابولنا كار و حطتنا في قهوة في سوسة و مشت على روحها ....نا جاني واحد نعرفوا هزني بتت بحثاه لين فقت الصباح مشيت روحت

" نور الحق، 30 سنة. الرديف

كالعادة البوليس التونسي شنوة تتوقع منو بربي.. . كلام زايد و قحران و إيجا من هنا، برة من غادي و مبعد أكثر من نص ساعة يسألو فيا منين حرقت . كيفاش حرقت . منين جبت الفلوس . شكونوا الرايس ..مبعد خرجونا من مركز الحدود و الأجانب..وقفنا ستوب و روحنا

" ياسين، 25 سنة تونس، العاصمة

من إيطاليا هبطت لمطار النفيضة أما متعديتش كيما المواطنين الأخرين ..ماشديتش صف إلي تعداو بالباسبور ..طلعت هكة معندي شي ..جاو زوز لوطة و أنا هبطت معايا الزوز أعوان escalier بوليسية توانسة إلي قعدوا في إيجا نفرح بيك ..ماهوش مراعي الظروف إلي مشيت فيها و كيفاش مشيت فيها ، في قلبي قتلوا إيجا نفرح بيك و أنا نقلك كيفاش تعديت توة تعرف كيفاش ..دخلنا للمطار أنا آخر واحد هبط من الطيارة و خرجت من الباب متاعهم منين يتعداوا البوليسية و بعد تعديت للمركز في المطار..قالولي إسمك و لقبك ..قتلوا نورمالمون الدوسي قدامك و كل شيء موجود ..عطيتوا غسمي و لقبي ضرب ع ملقى حتى شي ..و قلي هاك خارج البرة ..ما حبيتش نحكيلوا ..قلت recherche أنا زايد هاني روحت و ما عندي شيء في تونس ..قعدت يجي 6 وإلا سبعة سوايع في المركز باش روحت ..هو ممكن عمل الإجراءات في ساعة أما أنا قعدت الوقت هذاكا الكل ..الحقيقة الضرب لا مضربونيش ..أما الطريقة إستفزازية ..و علاش تعمل هكة و معجبتكش تونس ..قتلوا أنا حارق و أنت كان مدخلتش تخدم في الحاكم راك حرقت..الوصول لتونس كان مع الثلاثة متاع العشية ..الحقيقة خرجت من المطار الستة متاع العشية و معنديش فلوس باش إنروح

" محمد، صفاقس

وصلنا للمطار ..عرضنا الحاكم التونسي ..كانت حاكم ولا حاكم ..كانت معاملة ولات معاملة ... فكان تليفونات .بداو يسبوا بيكم و عليكم و أفهم هضاكا الكل ..و أنتم مناظركم متاع أوروبا ..تقول كنا في إيطاليا و جايين حارقين لتونس..تقول تونس موش بلادنا..وصلنا الثلاثة متاع العشية ..خرجونا من المطار التسعة متاع الليل ..خلاونا في بلاصة لووووطا ..عالأول خلالونا في بلاصة أخرى ..ريلولنا الباسبورات مستعجلين ..مبعد مشينا واحد في جرة واحد ..شقينا المطار و هبطنا لوطة شيرة المركز اللوطاني متع مطار النفيضة ..خلاونا في تركينة ..موش بيت ..تركينة قاعدين بجنب بعضنا ..لاخر بعضا متاع بيسبول يضرب على الحيط يقلنا الي باش يتكلم باش نعملو ...عاملونا كإنا عبيد ..تليفونات قلنالهم نحبوا تليفوناتنا قالولنا لا ..معطاوناش التاليفونات إلي عطاهملنا الحاكم الطلياني

9. أحاسيس الفشل

بعد نهاية التحقيق وتجاوز " عتبة المطار" تبدأ رحلة، وحياة أخرى، أيضا للمرحلين الذين استجوبناهم. "العود على بدء" ليست تجربة هينة بالنسبة للمرحلين. ثمة تداعيات نفسية وإجتماعية قد تدفع بالبعض منهم إلى محاولات الانتحار والتوقف على الذات، خاصة بالنسبة للذين قضوا مدة طويلة في أوروبا، حيث يغدو قبولهم بالواقع (القديم- الجديد) أمر صعب حيث يغدوا الترحيل بمثابة حدث شخصي عنيف أدى إلى انسلاخ عن الواقع بالنسبة للذين قضوا مدة طويلة في أوروبا ووقع ترحيلهم قسريا وإفشال لمشاريع وأحلام شخصية. يعيش المرحلون أيامهم الأولى في حالة تقوقع عن الذات. البعض منهم يرفض مغادرة المنزل ويعيش البعض الآخر حالة توتر نفسي،والشعور بالضغط على نحو دائم في حين يحاول البعض الآخر قبول الواقع والبحث عن محاولات للإندماج الإجتماعي. لكن المشترك بينهم أنه لا توجد سياسة إستقبال محلية للمرحلينوليست ثمة أي متابعة نفسية وإجتماعية بعد ترحيلهم. فهم يضلون متروكين لحسابهم فحتى من الناحية الإحصائية هم غير محددون وعدم تحديدهم إحصائيا يندرج ضمن سياسات الإخفاء الإجتماعي للفئات الهشة، فالترحيل القسري يضاعف الهشاشة النفسية والإقتصادية للمرحلين، فالكثير منهم يرفض العمل بأجور متدنية ويضلون في وضعية مقارنة بين ماكانوا يتقاضونه في أوروبا في إطار أعمال غير نظامية وبين ما قد يتقاضونه في تونس. البعض الآخر يجد نفسه في حالة وصم بالفشل من قبل محيطه الإجتماعي (العائلةوالإصدقاء) على نحو يصبح الترحيل مصير شخصي،وليس أمر متعلق بسياسات الهجرة. كل هذه العوامل تساهم في الدفع إلى معاودة محاولات الهجرة بطريقة نظامية،فجل المستجوبين قد عبروا لنا عن رغبتهم في المعاودة إذا سنحت الفرصة لهم و توفروا على المال الكافي، بل إن البعض من المستجوبين قد عاش التجربة أكثر من ثلاث مرات و المعاودة تشكل نوع من التحدي و لكن لها دلالة حيث أن التمثل السائد لديهم يتمثل في الإعتقاد أن لا حل لمشاكلهم الشخصية (البطالة و العيش على هامش عالمي العمل و الإستهلاك لا يكون إلا عبر الهجرة غير النظامية) و هو تمثل تنخرط فيه أيضا بعض عائلات المستجوبين على نحو تصبح فيه الهجرة غير النظامية بمثابة الاستثمار العائلي، و هو إستثمار يأتي في ضل تراجع القدرة الشرائية للطبقات المتوسطة، و عجز سوق الشغل عن إستقبال مزيد من الوافدين. كما أن المنقطعين عن الدراسة لا يجدون المؤسسات الوسيطة الكافية لإستيعابهم

10. تقييم تجربة الترحيل

يقيم أغلب المستجوبين تجربة الترحيل بكونها تجربة فشل لأحلام وآمال شخصية. و لكن بالمقابل يرون أن تجربة الحرقة كانت تجربة ثرية، و أصبحت جزء من مسارهم الشخصي و منحتهم خبرة قد يستعينون بها إذا ما عاودوا الهجرة مرة أخرى كما تمنحهم أيضا شرعية الحديث لمن لم يجربوا بعد حيث يسود الإعتقاد لديهم بأنهم باتوا أصحاب تجربة بعد أن كانوا دون تجربة و دون قصة شخصية أيضا. يقول هشام :

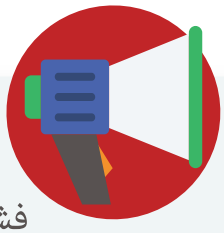

فشلت في مرحلة كاملة من حياتي مش على حاجة...مرحلة راهي نقطة تحول ..راني كنت عامل برنامج كامل نا..راي حتى من الدار و الخدمة حاضرين يستنوا فيا يعني مرحلة من حياتك (يصمت قليلا) طاحت في الماء أنك برمجت على حاجة متاع خمسة سنين القدام و طاحت في الماء ..كان طفل صاحبي يستنى فيا ..ولد عمي كان يسكن في برطمان صغير ..حول لبرطمان كبير ..كي كلمتوا نا قتلوا راني باش نحرق ..الراجل ديراكت عمل مطالب و حول من الدار و كان..أكثرش من القاورية (يصمت) كانت تستنى فيا غادي ..معناها قتلك برنامج كامل..عندي قاورية غادي تستنى فيا في بلجيكا . عندي كل شي. معناها نا صحيح منحكمش على الغيبيات أما حسب نظري كانت فمة حاجات باش تصير لصالحي. في لحضة تبدلت المشامية..و كل شيء طاح في الماء (...) و الله في الوقت الراهن منجمش نحرق فلوس مفماش ..باش نقلك منخممش في الحرقة ذقتها ..و مذبيا نعاود اما موش بنفس الكيفية الي حرقت بيها المرة الأولى الي كانت تهور ..هذه كيف باش نعاود باش نعاود بأكثر افكار بحكم تجربة جديدة ..تجربة كاملة . نعرف فهمت برشا حوايج. الواحد حتى كيف نعاود . نعاود بطريقة صحيحة موش كيف المرة الأولى..الوقت الحالي منخممش في مستقبلي ..نخمم كان في قهوة و حق دخاني ..باش نخمم باش نعمل حاجة (مستهزءا) ظروف متسمحش انك باش إنوا الواحد يعمل مستقبل ..واحد عندو خدمة هذاكا يخمم...أما واحد كيفي يخدم زعمة غدوة يخدم و لا يصور عشرة و إلا خمسطاش دينار في النهار..منخممش في الأيامات بعد شهر و شهرين ..هذي الكل منخممش فيها ..نخمم كان في الساعة الجاية و غدوة منخممش

" هشام، 27 سنة الرديف

الخلاصة والتوصيات

قـد تنجـح السياسـات الحكومية،وسياسـات الإتحاد الأوروبي المتعلقـة بالهجرة غير النظامية والتي تكتـسي طابعا أمنويا في التخفيض من أعدد المهاجرين غير النظاميين، لكنها لن تحد من تدفقات المهاجرين نحو أوروبا لأن السببين الرئيسيين الذي يحركان الهجرة من جنوب المتوسط إلى شماله لايزالا قائمين ويتمثلان في الشروط الصعبة التي يضعها الإتحاد الأوروبي فيم يتعلق بالهجرة النظامية حيث يعتمد سياسة إنتقائية وبأعداد محدودة. ثانيا الظروف الإقتصادية،وتصاعد النزاعات التي تعيشها دول الجنوب وبالنسبة لتونس فأزمة الإنتقال الديمقراطي وخيبة أمل الفئات الشبابية من الواقع السياسي الجديد للبلاد،والذي وجدت نفسـها على هامشـه دون أفق إقتصادي دفع بها لتمثل الحلول لمشـكلاتها الشخصية (وهي مشكلات ذات طبيعة سياسة أيضا) من خلال الانخراط في الهجرة، غير النظامية بوصفها حل وتعبير عن عدم رضا عن واقع إقتصادي وسياسي صعب. في هذا الصدد إزدهرت في تونس بعد الثورة " شبكات الحرقة" على نحو أصبحت فيه جزء من الإقتصاد اللانظامي، و بقي التعاطي الرسمي مجرد تعاطي أمني لا غير في ظل غياب البدائل الإقتصادية الحقيقية، بل على العكس من هذا فقد بدت السياسـة الرسـمية في تونس متجهة أكثر نحو الدفع بتخلي الدولة عن التزاماتها الإجتماعية، و ذلك في إطار تنفيذ خيارات صندوق النقد الدولي ذات المنحى النيوليبرالي، و التي من بين إسـتتباعاتها الإجتماعية، فرض البقاء في دائرة العمل الهش بالنسبة للفئات الهشة ولهذا فالهجرة غير النظامية لا تبدو كخيار أول للفئات الشبابية بل هي نتيجة لسياق إقتصادي و سياسي . لكن بالمقابل هي نتاج لتمثل شبابي للعيش في أوروباورغبة للمشاركة في عالم معولم من خلال التنقل فالفئات الشبابية في تونس هي جزء من " شبيبة العالم"،وتحدوها الرغبة أيضا في التنقل بإنسيابية ودون عوائق. تظهـر مـن خـلال البحـث الميـداني الـذي قمنا به أن جـل المشـاركين في الهجرات غير النظامية هم شـبان يعيشـون في ظل البطالة،والهشاشـة المهنيـة وغيـاب تمثـل إيجابي للمسـتقبل في تونس كما يعيشـون في قطيعة مع الأطر السياسـية،والمدنية الرسـمية وهـم عـلى هامشـها ولا يشـاركون فيهـا. إضافـة إلى شـعورهم باللامسـاواة والحيفوالرغبـة المسـتمر في تغيـير واقعهم،والإنخـراط مثـل الآخريـن في مجتمـع الإسـتهلاك وتتشـكل لديهم الرغبـة في الهجرة غير النظاميـة ضمن وجودهم اليومي، مع الأصدقاء وجماعات الرفاق حيث يتبادلون الخبرات والمعطيات، حيث ينسـج قرار الهجرة غير النظامية خارج المؤسسـات،والأطر التقليديـة ولكـن التحـول الجديد هو إنخـراط العائلة في مشروع الهجرة غـير النظامية،وهو أمر متعلق بتعطل المدرسة، كمصعد إجتماعي، وتهاوي الطبقة المتوسطة وبداية فك الدولة لإلتزاماتها الإجتماعية.

من ناحية التجربة، تظهر الحرقة من منظور الشبان المرحلين قسريا بمثابة مسار معقد يخضع لمراحل متعددة وينتهي بالوصول لإيطاليا وتحديدا جزيرة لمبادوزا. لكنها تجربة تجعلنا نفكر فيها أكثر من زاوية الحدود في هي تتابع مستمر للحدود بالمعنى المادي (أي الجغرافي و الرمزي) و التي تبدأ من القدرة على الإفلات من المراقبة الأمنية في تونس، و صولا إلى تجاوز فترة التقوين ثم عبور المياه الإقليمية، و من بعد ذلك تبدأ حدود " مجتمع الاستقبال" حيث مراكز الإيواء و هي بمثابة الحدود المادية، و الرمزية في وقت ذاته، و كذلك حدود و إكراهات العيش بدون وثائق و بالتالي فنجاح مشروع الهجرة غير النظامية يعني القدرة على تجاوز كل الحدود المادية و الرمزية و لهذا بقدر ما يظهر الترحيل كسياسة إقصائية يتوخاها الإتحاد الأروبي و السلطات الإيطالية ضد المهاجرين، بقدر ما يبدو كتأكيد للحدود بوصفها أداة إنتقائية للمهاجرين و تبدو عملية الترحيل التي تقوم السلطات الإيطالية كآلية تحكم في تدفقات المهاجرين و هو أمر يفرض على دول الإنطلاق التي تستقبل المرحلين . فما يبينه لنا البحث هو أن السلطات التونسية منخرطة بشكل فاعل في سياسات الترحيل التي يتوخاها الإتحاد الأوروبي ضد المهاجرين غير النظاميين التونسيين حيث لا ترفض إجراءات الترحيل التي تبدو في غالبها غير قانونية، و لكن بالمقابل لا تمتلك السلطات التونسية سياسة إستقبال للمرحلين التي تنحصر فقط في إجراءات أمنية صرفة حيث لا تتم أي متابعة نفسية و إجتماعية للمرحلين الذين يعيشون بعد عملية الترحيل ضروف نفسية صعبية غالبا ما تجعلهم في حالة عطب إقتصادي و إجتماعي و هو ما تبيناه خلال البحث الميداني و على هذا الأساس يمكن الخلاص إلى التوصيات التالية :

1. العمل على وضع قائمة بيانات إحصائية للمرحلين من إيطاليا ومنأوروبا.
2. الضغط من أجل تشريك المجتمع المدني ووسائل الإعلام في عملية إستقبال المرحلين سواء عبر الموانئ الجوية أو البحرية.
3. خلق تحالف بين المجتمع المدني الإيطالي والمجتمع المدني التونسي في إطار مراقبة سياسات الترحيل والحد منالترحيل القسري.
4. المناصرة القانونية للمرحلين بطرق غير قانونية
5. القيام بدراسة كمية وكيفية معمقة حول المرحلين قسريا من أوروبا إلى تونس.
6. مراجعة قوانين الهجرة والإتفاقات بين تونس والإتحاد الأروبي

boats 4 people

FTDES

المنتدى التونسي للحقوق الإقتصادية والإجتماعية

ROSA LUXEMBURG STIFTUNG

مكتب شـــمال إفريقيا

North Africa Office

www.ftdes.net